ديوان
صلاح عبد الصبور

دار العودة - بيروت

الطبعة الأولى
١٩٧٢

الناس في بلادي

رحلة في الليل

١ – بحر الحِداد

اللّيلُ يا صديقتي يَنْفُضُني بلا ضمير
ويطلقُ الظنون في فراشِي الصغير
ويثقلُ الفؤادَ بالسوادْ
ورحلةِ الضياعِ في بحر الحِداد
فحين يقبلُ المساءُ ، يقفرُ الطريقُ ، والظلامُ محنةُ الغريب
يهب ثُلّةُ الرفاقِ ، فُضّ مجلسُ السمرْ
« إلى اللقاءِ » – وافترقنا – « نلتقي مساءَ غدْ »
« الرخُ ماتَ – فاحترس . الشاهُ ماتْ ! »
« لم يُنجِه التدبيرُ ، إني لاعبٌ خطيرْ »

« إلى اللقاءِ – وافترقنا – « نلتقي مساء غد »
أعودُ يا صديقي لمنزلي الصغيرْ
وفي فراشِيَ الظنونُ ، لم تَدَع جفْني ينام
ما زالَ في عرض الطريق تائهونَ يظلعونْ
ثلاثةٌ أصواتهم تنداحُ في دوامَةِ السكونْ
كأنهم يبكونْ
– « لا شيءَ في الدنيا جميلٌ كالنساءِ في الشتاءْ »
– « الخمرُ تهتك السِرارْ »
– « وتفضحُ الإزارْ »
– « والشمارَ ... والدثارْ »
ويضحكون ضحكَةً بلا تخُومْ
ويقفرُ الطريقُ من ثُغاءِ هؤلاءْ

٢ – أغنية صغيرة

اليكِ يا صديقي أغنيةً صغيره
عن طائرٍ صغيرْ

في عشه واحدهُ الزَغيبْ
وإلفُهُ الحبيب
يكفيهما من الشرابِ حسوتا منقار
ومن بيادرِ الغلالِ حبتانْ
وفي ظلامِ الليل يعقد الجناحَ صُرةً من الحنانْ
على وحيدِه الزغيب
ذات مساء ، حطَّ من عالي السماءِ أجدلٌ منهومْ
ليشربَ الدماء
ويعلك الأشلاءَ والذِماء
وحار طائري الصغيرُ برهةً ، ثم انتفض ...
معذرةً ، صديقتي ... حكايتي حزينة الختامْ
لأنني حزين ...

٣ – نزهة الجبل

الطارقُ المجهول ، يا صديقتي مُلَثَّمٌ شرّيرْ
عيناه خنجران مَسْقيان بالسموم

والوجهُ من تحت اللثامِ وجهُ بوم
لكنَّ صوتَهُ الأجشَّ يشدخُ المساءْ
« إلى المصير » ..! والمصيرُ هُوَّةٌ ُترَوِّعُ الظُنونْ
وفي لقائِنا الأخير يا صديقي وعدتِني بنزهةٍ على الجبل
أريدُ أن أعيشَ كي أشمُّ نفحةَ الجبل
لكن هذا الطارق الشرّيرَ فوق بابِيَ الصغيرْ
قدْ مدَّ من أكتافِه الغلاظِ جذعَ نخلةٍ عقيمْ
وموعِدي المصيرُ ... والمصيرُ هوّة تروّع الظنون

٤ – السندباد

في آخر المساء يَمْتَلي الوسادُ بالوَرَق
كوجه فأرٍ ميتٍ طلاسمُ الخطوطْ
وينضَحُ الجبينُ بالعَرَقْ
ويلتوي الدخانُ أخطبوط
في آخرِ المساءِ عادَ السندباد
ليُرْسِيَ السَفِينْ

وفي الصباحِ يَعقِدُ النُدْمَانُ مجلس النَدَمْ
ليسمعوا حكايةَ الضياعِ في بحر العدم

السندباد :

(لا تحك للرفيقِ عن مخاطرِ الطريق)
(إن قلتَ للصاحي انتشيتُ قالَ : كيفْ ؟)
(السندبادُ كالإعصارِ إن يَهدَأ يَمُتْ)

الندامى :

هذا محالٌ سندبادُ أن نجوبَ في البلاد !
إنّا هُنَا نُضَاجِعُ النِسَاءْ
ونغرسُ الكُرُوم
ونعصرُ النبيذَ للشتاء
ونقرأُ (الكتابَ) في الصباحِ والمساءْ
وحينما تعود نعدو نحو مجلس النَدَم
تحكي لنا حكايةَ الضياعِ في بحرِ العدم

٥ – الميلاد الثاني

في الفجر يا صديقتي تُولَدُ نفسِي من جَدِيدْ
كل صباح أحتفي بعيدها السعيد
ما زلتُ حيّاً ! فرحتي ! ما زلتُ والكلامُ والسبابُ
والسُعَالْ
وشاطيءُ البحارِ ما يَزالُ يَقْذِفُ الأصْدافَ واللآلْ
والسحبُ ما تَزَالْ
تسحُّ ، والمخَاضُ يُلْجِىءُ النِساءَ للوَسادْ
ويلعبُ الأطفالُ فوق اسطح البيوتِ
لعبة العريس والعروس والتبات والنبات
والوردُ في خد البنات
وعند شطِ النهر عاشقانِ سارحانْ
لله ما أحلى عيونَ العاشقينَ حين يبسمونْ
ويقسمونْ
بِحُرْمَةِ الشُجون
وبالليالي المثقلاتِ ، وانتفاضَةِ الحنين

وبالسوادِ في العيونْ
العهدُ لن يهون
صديقتي ، عمي صباحا ، هل ذكرتُ نزهةَ الجبل

٦ – إلى الأبد

« الرخ مات – لا تُرَعْ – فالشاه ما يزال »
والشاهُ بالبيادقِ التأمْ
« إلى اللقاء » –
وافترقنا –

« نلتقي مساء غد »
لنكمل النِزَالَ فوق رقعة السوادِ والبياض
وبعد غد !
وبعد غد !
سنلتقي ...
إلى الأبد ...

هجم التتار

هجم التتار
ورَمَوْا مدينتنا العريقةَ بالدمارْ
رجعت كتائبنا ممزقةً ، وقد حَمِيَ النَهَارْ
الرايةُ السوداءُ ، والجرحى ، وقافلةٌ مَوات
والطبلةُ الجوفاءُ ، والخطُو الذليلُ بلا التفاتْ
وأكفّ جنديٍّ تدقّ على الخَشَبْ
لحنَ السَغَبْ
والبوقُ ينسِلُ في انبهار
والأرضُ حارقةٌ ، كأنّ النارَ في قُرْصٍ تُدَار
والأفقُ مختنقُ الغبار

وهناك مركبةٌ محطمةٌ تدورُ على الطريق
والخيلُ تنظر في انكسار
الأنفُ يَهْمِل في انكسار
العينُ تدمَعُ في انكسار
والأُذْنُ يلسَعُها الغبار
والجندُ أيديهم مدلاةٌ إلى قربِ القدمْ
قمصانُهُم محنيّةٌ مصبوغةٌ بنِثَارِ دم
والأمهاتُ هربنَ خلفَ الرَبْوَةِ الدَكْناءِ من هول الحريق
أو هول انقاض الشقوقْ
أو نظرة التَتَر المحملقةِ الكريهة في الوجوهْ
أو كفّهم تمتد نحو اللحم في نهم كريه
زحف الدمارُ والانكسارْ
وابلدتي ! هجم التتار

في معزل الأسرى البعيدْ
الليلُ ، والأسلاكُ ، والحرسُ المدجّج بالحديد

والظلمةُ البلهاء ، والجرحى ، ورائحةُ الصديد
ومزاحُ مخمورين من جند التتارْ
يتلمظون الانتصار

ونهاية السفر السعيد
وأنا اعتنقت هزيمتي ، ورميتُ رِجْلي في الرمالْ
وذكرتُ – يا أمي – أماسِينا المنعَّمة الطِوال
وبكيتُ ملءَ العين – يا أمي – لذكرى كالنسيمْ
وغمائم الكلمِ القديمْ
أمي ...
وأنت بسفح ذاك التل بين الهاربين
والليل يَعقدُ للصغار الرعبَ من تحت الجفون
والجوعُ والثوبُ الشفيف
والصُم والسِعْلاةُ والظَلْماءُ تقعي في الكهوف
أترى بكيت لأنَّ قريتنا حطام ..؟
ولأن أياماً أثيرات تولَّتْ لَن تعود ؟
أماه ! إنّا لن نبيدْ

هذا بسمعي صاحبٌ من أهْلِ شارعنا العتيد
وسعالُ مهزومٍ قعيدْ
وفمٌ يهمهمُ من بعيدٍ بالوَعِيدْ
وأنا – وكلُ رفاقِنا – يا أمْ حين ذَوَى النهار
بالحقدِ أقْسَمنَا ، سنهتفُ في الضحى بدمِ التتار
أُماه ! قولي للصغارْ :
أيا صغار ...
سنجوسُ بين بيوتنا الدَكْنَاءِ إن طلَع النهارْ
ونشيدُ ما هدم التتار ...

شنق زهران

... وثوى في جبْهَةِ الأرض الضياء
ومشى الحزنُ إلى الأكواخِ ، تِنـّينٌ لَهُ ألفُ ذراع
كل دهليزٍ ذِرَاع
من أذانِ الظهرِ حتى الليل ... يا لله
في نصفِ نهارْ
كل هذي المحن الصَمّاءِ في نصفِ نهارْ
مذ تدلّى رأسُ زهران الوديعْ

كان زهران غلاما
أمّه سمراء ، والأب مولّد

وبعينيه وسامه
وعلى الصَدغِ حمامه
وعلى الزند أبو زيدٍ سلامه
ممسكاً سيفاً ، وتحتَ الوشمِ نبْشٌ كالكتابه
اسمُ قريه
« دنشواي »
شبّ زهرانُ قويّا
ونقيا
يطأ الأرض خفيفا
وأليفا
كان ضحاكا ولوعا بالغناء
وسماع الشعر في ليل الشتاء
ونَمَتْ في قلبِ زهرانَ ، زُهَيْرَه
ساقها خضراءُ من ماءِ الحياه
تاجُها أحمر كالنارِ التي تصنَعُ قبْلَه
حينما مر بظهر السوق يوما

ذات يوم ...

مر زهران بظهرِ السوق يوما
واشترى شالا مُنمنَمْ
ومشى يختالُ عجباً ، مثلَ تُركيٍّ مُعمَّمْ
ويُجيلُ الطـَرْفَ ... ما أحلى الشبابْ
عندما يصنع حبا
عندما يجْهَدُ أن يصطادَ قلبا

كان يا ما كان أن زُفـّتْ لزهران جميلهْ
كان يا ما كان أن أنجب زهران غلاما ... وغلاما
كان يا ما كان أن مرّتْ لياليه الطويلهْ
ونمت في قلبِ زهرانَ شُجَيره
ساقها سوداءُ من طين الحياه
فرعُها أحمرُ كالنارِ التي تُحْرقُ حقلا
عندما مرَّ بظهر السوق يوما

ذات يوم

مر زهران بظهر السوق يوما
ورأى النارَ التي تُحْرِقُ حقلا
ورأى النَارَ التي تصرع طفلاِ
كان زهران صديقاً للحياه
ورأى النيرانَ تجتاح الحياه
مد زهران إلى الأنجم كفّا
ودعا يسألُ لُطْفَا
ربما ... سَوْرَةُ حِقدٍ في الدماء
ربما استَعْدى على النارِ السماء

وضع النِطع على السكّة والغيلانُ جاءوا
وأتى السيافُ مسرورُ وأعداء الحياه
صنعوا الموتَ لأحباب الحياه
وتدلّى رأسُ زهران الوديعْ

قريتي من يومها لم تَأتَدِمْ إلَّا الدموعْ
قريتي من يومها تأوي إلى الرُكْنِ الصديع
قريتي من يومها تخشى الحياهْ
كان زهرانُ صديقاً للحياه
مات زهرانُ وعيناه حياه
فلماذا قريتي تخشى الحياه...؟

أبي

... وأتى نَعْيُ أبي هذا الصباحْ
نام في الميدان مشجوجَ الجبينْ
حولَهُ الذؤبان تعوي والرياحُ
ورفاقٌ قبْلوة خاشعينْ
وبأقدام تجرّ الأحذية
وتدق الأرض في وقعٍ مُنَفّر
طرقوا الباب علينا
وأتى نعيُ أبي

كان فجراً موغلاً في وحشته

مطرٌ يهمي ، وبردٌ ، وضبابْ
ورعودٌ قاصفهْ
قطةٌ تصرخُ من هولِ المطر
وكلابٌ تَتَعَاوى
مطر يهمي ، وبردٌ ، وضباب
وأتينا بوعاءٍ حجري
وملأناهُ تراباً وخشبْ
وجلسنا
نأكلُ الخبزَ المُقَدَّدْ
وضحكنا لفُكاهَه
قالها جدي العجوزْ
وتسلّل
من ضياءِ الشمسِ موعد
فتفاءلْنَا ، وحَيَيْنَا الصباح
وبأقدامٍ تَجُرُ الأحذيه
وتدقُ الأرض في وَقع مُنَفّـر

طرقوا الباب علينا
وأتى نعيُ أبي
حين ودعت أبي
من زمان
كان دَمْعي غائراً في مُقْلَتي
وشفاهي تنطقُ الحرفَ الصغيرْ
يا أبي !
مرة يخنُقُهُ الدمعُ ، ويأبَى
أن يذوبْ
في فراغِ العدمِ
ثم جمعتُ حياتي
وهي بعضٌ من أبي
ما الذي يقصيك عني ..؟
ما الذي يدعوك للبحر الكبيرْ ؟
ما الذي يدعوك للدرب المضلّل؟
لم تجفو مضْجَعَكْ ؟

لم يبدو الموتُ في منزلنا
قدراً لا يخطىءُ
وأبي يثني ذراعَهْ
كهرقل
ثم يعلو بي إلى جبهته
ويناغي
تارة رأسِي وطوراً منكبي
ويصرّ البابُ في صوتٍ كئيبْ
ومضى عني ، وراحتْ خطوته
في السكونْ ...
ونرى طَلْعَتَهُ بينَ الضباب
وأرى الموتَ ، فأعوي
يا أبي !
وأتى نعيُ أبي هذا الصباح
نام في الميدان مشجوج الجبين

جُنّتْ الريحُ على نافذتي
في مسائي ، فتذكرت أبي
وشَكَتْ أمّيَ من علّتها
ذاتَ فجرٍ ، فتذكرت أبي
عقَرَ الكلبُ أخي ...
وهو في الحقل يقُودُ الماشيه
فبكينا
حين نادى ...
يا أبي !
إننا الأغرابُ في القفر الكبير
إننا ضِقْنَا وضاقَتْ روحنا
القطيع ..!
غاب راعيه ، وطَالتْ رِحْلَتهُ
وهو في بيداءَ لا ظلّ بها
يا لأقدامٍ تجُرُّ الأحذِيَه
وتدقُّ الأرضَ في وقعٍ منفّر

يا لأقدامِ تذيـعُ النـَبـَأ
نبَأ المصروعِ في صخرِ الجبل
إنه مات !
إنه مات وجَفـَّتْ رِحْلـَتـُه
إنه مات وواراهُ الثرى
حيثُ مات
حين غابَ لهيبُ المدفأه
كلُّ شيءٍ كانَ يحكي النـَبـَأ
قطةٌ تصرخُ من هولِ المطر
وكلابٌ تتعاوى
ورعودْ
كان فجراً موغلاً في وَحْشـَتـهْ
وأتى نعي أبي
نام في الميدان مشجوج الجبين . .

الناس في بلادي

الناس في بلادي جارحونَ كالصقورْ
غناؤُهم كرجفةِ الشتاءِ في ذؤابةِ المطر
وضحكهمْ يَئزُ كاللهيبِ في الحطب
خطاهُمُو تريد أن تسوخَ في الترَابْ
ويقتلون ، يسرقون ، يشربونَ ، يَجْشَأونْ
لكنّهمْ بشرْ
وطيبونَ حين يملكونَ قبضتي نقودْ
ومؤمنونَ بالقدر

وعند باب قريتي يجلس عمي « مصطفى »

وهو يحب المصطفى
وهو يقضّي ساعةً بينَ الأصيلِ والمَسَاءْ
وحولَهُ الرجالُ واجمون
يحكي لهم حكايةً ... تَجْرُبَةَ الحياه
حكايةً تثير في النفوس لَوْعَةَ العدمْ
تَجْعَلُ الرجالَ ينشِجُون
ويطرقون
يحدقون في السكونْ
في لجّةِ الرعبِ العميقِ ، والفراغِ ، والسكونْ
« ما غايةُ الإنسانِ من أتْعَابهِ ، ما غايةُ الحَيَاهْ ؟
يا أيها الإله !!
الشمس مُجْتَلاكَ ، والهلالُ مفرقَ الجبينْ
وهذه الجبال الراسياتُ عرشُكَ المكين
وأنتَ نافذُ القَضاءِ أيُّها الإله
بنى فلانٌ ، واعتَلى ، وشيّدَ القلاعْ
وأربعون غرفةً قد مُلِئَتْ بالذَهَب اللّماعْ

وفي مساءٍ واهنٍ الأصداءِ جاءَهُ عِزْريل
يحمل بين اصبَعَيهِ دفتراً صغير
ومدَّ عزريلُ عصاهْ
بسرِّ حرفيْ « كُنْ » ، بسر لفظِ « كان »
وفي الجحيمِ دُحْرِجَتْ روحُ فلان
(يا أيها الإله ...
كم أنت قاسٍ موحش يا أيها الإله)

بالأمس زرت قريتي ، قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في الترابْ
لم يبتنِ القلاعَ (كانَ كوخُهُ من اللَبِن)
وسارَ خلفَ نعشِهِ القَديمْ
من يملكون مثلَهُ جلبابَ كتانٍ قديمْ
لم يذكروا الإله أو عزريل أو حروفَ (كان)
فالعامُ عامُ جوع
وعند بابِ القبرِ قام صاحبي خليل

حفيدُ عمي مصطفى
وحين َمدّ للسماءِ زِنْدَهُ المفتُول
ماجَتْ على عينيهِ نظرةُ احتقارْ
فالعامُ عام جوع ...

السلام

ويظل يَسْعل ، والحياة تموت في عينيه ، إنسانٌ يموت
وعلى محياه القسيم سماحة الحزنِ الصموتْ
والبسمة البيضاء تهمر فوقَ خديه محبه
لكَ ، لي ، لِمَنْ داسوه في دَرْبِ الزحامْ
ألقى السلامْ ...
وصَفا محيّاه ، وأغْفَتْ بين جفنيه غمامه
بيضاء شاحبة يطل بعمقِها نجْما سواد
وتمطَّتْ الرئتانِ في صدرٍ زُجاجيٍّ خربْ
وامتدت الأنفاس مجهدةً تراوغ أنْ تبوحَ بالانكسار :
« إني انهزمت ، ولم أُصِبْ من وُسْعِها إلا الجدار

والنورُ ، والسعداءُ ، من حولي ، وقافلةُ البيوت
لكنـَّهُ ألقى السلام ...

ومضى ، ولا حسٌ ولا ظلٌ كما يمضي ملاكْ
وتكورت أضلاعُه ، ساقاهُ ، في ركنٍ هناك
حتـَّى ينام
من بعد أن ألقى السلام

كنـّا على ظهرِ الطريق عصابةً من أشقِياءِ
متعذبين كآلهه
بالكتْبِ والأفكارِ والدُخـَّانِ والزَمَنِ المَقيت
طالَ الكلامُ ... مضَى المساءُ لجاجةً... طالَ الكلام
وابتلَّ وجهُ الليلِ بالأنداءْ
ومَشَتْ إلى النفسِ الملالَةُ ، والنعاسُ إلى العيون
وامتدتْ الأقدامُ تلتمسُ الطريقَ إلى البيوتْ
وهناكَ في ظِلِّ الجدارِ يظلُ إنسانٌ يموتْ

ويَظلُّ يسعلُ ،

والحياةُ تجفُّ في عينيه ،

إنسانٌ يموت

والكتْبُ والأفكارُ ما زالت ..

تَسُدّ جبالُها وجهَ الطريقْ

وجهَ الطريقِ إلى السلام ...

الحزن

يا صاحبي ، إنّي حزين
طلعَ الصباحُ ، فما ابتسمتُ ، ولم يُنِر وجهي الصَباح
وخرجتُ من جوفِ المدينةِ أطلب الرزقَ المتاح
وغمستُ في ماءِ القناعةِ خبزَ أيّامي الكَفاف
ورجعتُ بعد الظُهْرِ في جَيْبي قروشْ
فشربتُ شاياً في الطريق
ورَتَقْتُ نعلي
ولعبتُ بالنرد الموزّعِ بين كفي والصديق
قُلْ ساعةً أو ساعتين
قل عشرةً أو عشرتين

وضحكتُ من أسطورةٍ حمقاءَ ردّدَها الصديق
ودموع شحّاذٍ صفيق
وأتى المساء
في غُرْفَتي دَلفَ المساء
والحزنُ يولَدُ في المساءِ لأنهُ حزنٌ ضرير
حزنٌ طويلٌ كالطريقِ من الجَحيمِ إلى الجحيم
حزنٌ صموتْ
والصمتُ لا يعني الرضاءَ بأنّ أمنيةً تموت
وبأنّ أياماً تفوت
وبأن مِرْفَقَنا وَهَنْ
وبأنّ ريحاً مِن عَفَنْ
مسّ الحياة ، فأصبحتْ وجميعُ ما فيها مقيت

حزنٌ تمدَّدَ في المدينه
كاللص في جوفِ السكينه
كالأفعوانِ بلا فحيح

الحزن قد قهر القلاع جميعَها وسبَى الكنوز
وأقامَ حكاماً طغاهْ
الحزنُ قد سَمَلَ العيون
الحزنْ قد عَقَدَ الجباه
ليقيمَ حكاماً طغاه

يا تعسَها من كِلمةٍ قد قالها يوماً صديق
مغرىً بتزويقِ الكلام
كنّا نسيرْ
كفّي لكفَّيْه عِناق
والحزنُ يفترشُ الطريق
قال الصديق :
يا صاحبي !...
ما نحنُ إلا نفْضَةٌ رعناءُ من ريحٍ سموم
أو منيةٌ حمقاء
والشيطانُ خالقُنا ليَجرَحَ قدرةَ اللهِ العظيم

او أن اسمينا ببرجِ النحسِ كانا ، يا صديق
وجَفَلْتُ فابتسمَ الصديق
ومشى به خَدَرٌ رفيق
ورأيتُ عينيه تألقتا كمصباح قديم
ومضى يقول :
« سنعيش رغم الحزن ، نقهرُهُ ، ونصنع في الصباح
أفراحَنا البيضاءَ ، أفراحَ الذين لهم صباح » ..
ورنا إليَّ ...
ولم تكن بُشراهُ مما قدْ يُصدّقُهُ الحزينْ
يا صاحبي !
زوّقْ حديثَكَ ، كل شيءٍ قد خَلا من كلّ ذوْق
أما أنا ، فلقد عرَفْتُ نهايةَ الحَدَرِ العميق
الحزنُ يفترشُ الطريقْ ...

عيد الميلاد لسنة ١٩٥٤

نَزَح المساء ولم أزل أحيــــا بأحــلام النيامْ
ارد النهار بقلـَتَـيْ سأمانَ من هَوْل ِ الزحام
ماذا عليَّ لو انعطفتُ لغرفـَتي ... حتى أنام
وأغوصَ في بحر السلام

النور عملاقٌ يزلزل هدأتي ويَهُــــدُّ أمْني
ويريني المهوى العميقَ لرحلـتي فيريع ظني
يا ليلُ، يا راحي ، ومصباحي وأفراحي، وكنـّي
أبْعِدْ رماحَ النورِ عني !

يا وحدتي ! الليلُ راح لا بدَّ من خوضِ الصباح

لا بد من خوضِ الصباحِ إلى الجراحِ ، إلى النواح
ماذا بِبُوسْعِ النازلينَ إلى الصبـــاحِ ، بلا سلاح
يا وحــــدتي ، الليل راح

الكأسُ في كفِي نجيبه ْ تلد الخرافـات العجيبه
تلد المساءَ غوانياً يُغنْفينَ في الحُلَلِ القَشيبَــه
تلد الصباحَ انا بهِ (المنصورُ) في رأس الكتيبـــه
لكنَّها حُبْلَى كذُوبَه

أمُعيِّري بالوهم ، لا وهمٌ هنـاكَ ولا حقيقـــه
الطفــــل يفجؤُني بأسئلةٍ محـــيرةٍ عميقه
وذوو الذقون البيض يزدحمونَ في الغرف العتيقه
ويفتشونَ عن الطريقه

يا عيدُ، يا نبعي الكئيبْ يا ذِكْرَ إنسانٍ غريب
حمل الذنوبَ عن القطيع فمـاتَ من وَقْرِ الذنوب
يـــا لاهثاً فـوق الصليبِ يكادُ يسألكَ الصليبْ
لِمْ مُتّ من دونِ الصليب ؟

« سوناتا »

ولا تُشْغَلي إننـــا ذاهبانِ		إلى قريةٍ لم يَطأهـــا البشرْ
لنحيا على بَقْلِها ، لا الحياةُ		تَضنُ علينا، ولا النَبعُ جَفْ
ونصنعَ كوخاً حواليه تلٌ		من الوردِ باحَتُهُ، والسُجف
ويا فتنتي ، سأمي رِحلَتي		وغُرْبَتُنَا المَرفأُ المنتظرْ

وكانَ سريرك من صَنْدَلٍ		وفَرْشَتُهُ من حريرِ الشآم
وطوّقْتُ جيدكَ بالياسمين		ومَسّحتُ كفّيك بالعنبرِ
وثوبك خيطٌ من الموسلين		وخيطٌ من الذهَبِ الأصفر
ونُرْخي الستارَ ، وفيروزتان		تموجانِ في وَجهك المُستهام

وأيقَظَني صاحبي (يا فلان)
أفِقْ ، َغمرَ النُور َوجْهَ الوجود
ودوّى القطارُ ، ومـاجَ الطريقُ
زحـاماً من الأرضِ حتى السماء
يساقونَ والموتُ في مرصدٍ
لمعركةِ البُلْهِ والأغْبياء
لأجلِ الرَغيفِ ، وظِلٍ وريفِ
وكوخٍ نظيفٍ ، وثوبٍ جديدْ
وفي العصرِ ُشفُتُكِ يـا فتنتي
ولم نفترِق في الزِحَامِ البليدْ
وقبّلْتُ ثوبَكِ يـا فتنـتي
لأنكِ أنتِ رجـائي الوحيدْ

الرحلة

الصبحُ يدرجُ في طفولته والليلَ يحبو حبو منهزمِ
والبدرُ لملمَ فوقَ قريتنا أستارَ أوبتهِ ، ولمْ أنمِ

جامٌ وابريقٌ وصومعةٌ وسماءُ صيفِ ثرّةُ النعَم
قد كرّمت أنفاسُها رئتي وتقطّرتْ أنداؤها بفمي
ونجيمةٌ تغفو بنافذتي
لحَظتْ شرُودي لحظَ مبتسمِ
وصدىً لموالِ يعاودُني
وحفيفُ موسيقَى من السُدُمِ
ورؤىً أنضرها وأقطفُها وألمُها ، ويذرُّها سأمي

وعرائسٌ تختالُ في حُـلُمي بين الدفوفِ وضجةِ النغم
وأطلُّ مأخوذاً فتبسم لي تيجانها ، ويهزني ضَرَمي
وتَرودُها كفي فيفجعُني حسُّ الدمى، وبرودة الصنم
قممي تنكّرُ لي مسالكُها من بعدِ إلفي روعة القمم
يا رحلةَ المعنى على خَلدي قرّي بجدبي، عانقي عدَمي

ولّى المساء وجوه السحري الصبح أشرق وجهه الخزري
يا إخوتي النُّوام ، مـا أحلى
حضنَ الكرى ، وسَذاجَةَ الفكرِ

الوافد الجديد

زورقي جانحٌ كسيرْ — وشراعي بــه خُرُوق
وخليجي ومَرْفَئي — نامَ من دُونهِ المَضِيقْ

وأنا جاهِــدٌ لَغُـوبْ — أتهــادى إلى الأبَــــد
نحو قصرٍ من الرمالْ — وقلاعٍ من الزَبَـــدْ

بينهــا يرقُدُ الحبيبْ — في سريرٍ من الدُخانْ
فوقَــهُ مجْمَرٌ غريب — وظلالٌ من القِيانْ

زورقي مالَ وانكسر — غامَ في الماءِ نصفُـهُ
ضاعَ كدِّي! فلن أرى — من سبى النفس وصْفُهُ

وبعيــداً على الضفافْ — هلـَّل الوافدُ الجَديدْ
لحبيبي ، عَـــلى دمي — قد بَنى عالمـاً سعيدْ

الإله الصغير

كان لي يومـــاً إله ، وملاذي كانَ بيتُه
قال لي « إنّ طريقَ الوردِ وَعْرٌ » فارتقيتُه
وتلفّتُ ورائي ، وورائي مـــا وجدتُه
ثم أصغيتُ لصوتِ الريحِ تبكي ، فبكَيتُهْ

●

ذاتَ يوم ، كنتُ أرتادُ الصحارى، كنتُ وحدي
حين أبصرتُ إلهي ، أسمرَ الجبهة ، وَرْدي
ورقصْنا وإلهي للضُحى ، خَـــداً ... لِخد
ثمّ نِمنـــا ، وإلهي ، بـــينَ أمواجِ ووردِ

●

وإلهي كانَ طفلاً ، وأنا طفــلاً عبدتُهْ
كل ما في الروض يهواهُ ، ولكنني امتلكتُه
كلما نغّمَ في الأيكةِ عصفورٌ ، لثمتُه
وإذا ثارتْ بنا الأشباحُ والليلُ ، اعتنقتهُ

●

ومشينا مرةً في الليــل ، والوجدُ طلاسِمْ
فنشقْنــا ثورةَ المطرِ ، وقبّلنا الكمائِمْ
وشهِدنا في انتصافِ الليلِ ميلادَ النسائمْ
ورجِعنا في ثيابِ الفجرِ ، نبدو كالتوائمْ

●

ثم أصبحتَ إلهي تمنـعُ الخطْوةَ عنّي
وأناديكَ فأعيــا ، ويسُدُّ الصمت أذني
وأناجيكَ على الحـيرةِ في ظِلٍّ التمنّي
أترى رحْتَ أم الوجدُ الذي ضاعَ بِعيني

●

كان لي يوماً إله وملاذي كانَ بيتَه
قال لي « إن طريق الورد وعر » فارتقيته
وتلفت ورائي ، وورائي ما وجدتُه
ثم أصغيتُ لصوت الريح تبكي ، فبكيتُه

الاطلال

أطلال ... أطلال
يمشي بها النسيانْ
في كفّهِ أكفانْ
لكل ذكرى قبرْ

وبينَها قبري ..

أطلال ... أطلال
ناحت له صَلَواتْ
واسترحمتْ عبراتْ
وتصدّتْ النَزَوات

في ثوبِها الشِعْري

أطلال ... أطلال

الوردُ فيها قَتلّ

ممزّقُ مبتل

بالنهرِ من دَمْعي

والقَيظِ من فِكري

أطلال ... أطلال

والجنُ فيها سُودْ

لهم فَحيحُ السُودْ

يَثِبونَ في الأسحار

وثباً على صدري

أطلال ... أطلال

والفجرُ فيها طفل

معفّر مُعتلّ

ممزّق الوَجَنَاتْ

مروّعُ يجري

أطلال ... أطلال
والبلبلُ النوّاح
ولـّى بغيرِ جنَاح
إلا رؤىً وخيَال
أصبحتُ لا أدري

أطلال ... أطلال
لا شيءَ غير الويل
وغير قلبِ الليل
وموكِبُ الإعصَار
يعدو إلى البَحْرِ

أطلال ... أطلال
« تانجُو » تَرنّ هناك
أزهارُها أشواك
وشَطـُّها خدّاع

والركبُ لا يدري

أطلال ... أطلال
هذي هي الأطلال
نِهايَةُ الآمالْ
أسعى وَرَاءَ الشَمْسْ
والشمسُ في ظهري..

ذكريات

ذاتَ مساءٍ مُظلِمٍ كــأنّهُ سِردابَ
أطلّ من كوَى الجدارِ وَجهُهُ المرتابُ
والريحُ حولَ كوخِهِ قارصةٌ مدمدمهْ
والرعدُ قاصف الصدى ، مدينةٌ مُنهَدِمهْ
والبرقُ ضــاءَ في السّما أهِلّةً أهِلّهْ
والأفقُ غــابةٌ كثيفةُ النباتِ مُشْعَله
فلم يَجد له إلى الخلاصِ من سبيل
وماتَ في مَسجَنِهِ ، في كوخِهِ الذليلْ

وبعدَ عامٍ ، مثلما يقــالُ ، دبّتْ الحياهْ

في روحِهِ وجسمه ، فهبَّ يبتغي النجاهْ
أطلَّ من كُوى الجدارِ وجهُهُ ، يا فرحتنا
فأطبقَ العينين ، صرَّ بابَهُ ، والتفتَا
وكانتْ السماءُ بحرةً تموجُ بالخرافْ
والشمسُ والهلالُ في الخضمِّ زورقانْ
وحين مدَّ قامةً كسيرةً محطومَهْ
تلفعَ الثوبَ القديمَ ، والحوائجَ القديمه

وكان جائعاً وظامئاً ، ممزَّقَ الثياب
ولم يكُنْ لقلبهِ في الكونِ من أحبْاب
وفجأةً لاحت له أميرةٌ مؤتزرَهْ
بيضاءُ مثل لؤلؤٍ ، وحلوة كسكَّره
مدَّتْ ذراعَي فضةٍ تلقاهُ في تحْنان
وكوَّمَتْ في ثغرها النضيرِ قبلةَ الحنان
لكنَّهُ استدارَ للفلاةِ حائر الخطى
كأنَّهُ ، فيما يحدثون ، عملاقٌ مضى

ومـاتَ يـا سيدتي الحسناءَ ميتةَ الشهيدْ
ولن يعودَ للحياة ، والشهيدُ لَنْ يَعود
وتسألينَ : لم تَحكَيْتَ في المسَاءِ قِصَّتَهْ
ولم بَعَثْتَ في السكُون ذكرياتِ ميته ؟
سيدتي ! وحينما عـاهَدْتُهُ كانَ يموت
سيدتي ! أمـا عرفتِ انني تَموت
يطلُ من كُوَى الجدارِ وجهُه المرتاب
كل مساءٍ مظلمٍ كأنَّهُ سِرْداب

الملك لك

أواحدتي ، قبلما نلتقي
بذلكَ المساءِ السعيد البعيدْ
بلوتَ الحياةَ وأرزاءَها
عرفتَ صليلَ القيودِ الحديد
وكم ليلةٍ جُعْتُ يا فتنتي
وأخرى ظمئتْ
وكم جَعّدَتْ عارضَيَّ الدِماءْ
وقد وَخزَتْها ليالي الشتاء
تصارعتُ والهولُ وجهاً لوجه
ولكنني ، ما عرفتُ الفرار

أواحدتي ... ربما تَعجَبين
وقد تسألين
لماذا إذن يا صديقي ينوِّرُ عينيكَ فيضُ سرورٍ وحب
حكايةُ هذا على طولها لا تثيرُ السأمْ
سأحكي الحكايةَ من بَدْئِها
لحدِّ الختامْ

صباي البعيد
أحنُّ إليهِ ، لألعابـهِ
لأوقاتِهِ الحلوةِ السامِره
حنيني غريب ...
إلى صُحبتي
إلى إخوتي
إلى حِفْنةِ الأشقياءِ الظهورِ ينامونَ ظهراً على المصطبه
وقد يحلمونَ بقصرٍ مَشيد
وبابٍ حديد

وحوريةٍ في جوارِ السريرْ
ومائدةٍ فوقَها ألفُ صحن
دجاجٌ وبط وخبز كثير

إلى أمي البرةِ الطاهره
تخوفُني نقمةَ الآخره
ونارَ العذاب
وما َقد أعدُّوهُ للكافرين
وللسارقينَ ، وللّاعبينْ
وتهتفُ إن عَثَرَتْ رجليه
وإن أرْمَدَ الصيفُ أجفانيه
وإن طنّنَتْ َنحلةُ حوليه
بإسم النبي

وفي الليلِ كنتُ أنامُ على حجر أمي
وأحلمُ في غفوتي بالبشَر

وعَسْفِ القَدر
وبالموتِ حين يَدُكُ الحياهْ
وبالسندباد وبالعاصِفَه
وبالغولِ في قصْرِهِ الماردِ
فأصرخُ رُعباً ...
وتهتفُ أُمي باسمِ النبي

صباي البعيد
وأرْعَدُ إن مَسّ قلبي رجعُ فجائِعِهِ المرّةِ الجائِره
وهذا الرجل !!
أخي وابنُ أمي
وكانتْ خُطاهُ خُطى العنفوانْ
وفي عينِهِ وَمْضَةَ الكبرياء
وفي ليلةٍ عادَ من حقله
وقد قطّبَت وجهَهُ عِلته
ومات !

وفي حُفرَةٍ من حفارِ الطريق
وهبناهُ للأرضِ باسم النبي
وجاءَ رجالٌ ، رجالٌ غلاظْ
ودَقّوا الحديدَ على قبرهِ
حديدَ الطريقْ
أواحدتي...فكرةٌ طوّفَتْ برأسيَ ذاكَ المساء السحيق
أكان يُدَقُّ صَليبُ الحديد ؟
على رأسِهِ
يومَ كانَ قوياً تضجُ الحياة بشُريانِهِ ، ويفوحُ العرَقْ
لو الأرض لم تزدرده إليها ، أكانَ الحديدُ عليه يُدقّ ..؟
ومن موتِهِ انبثقت صحوتي
وأدركتُ يا فتنتي أننا
كبارٌ على الأرضِ ، لا تحتَها
كهذا الرجل

أواحدتي ... المساءُ السعيد

وطيفُكِ يبهجُني بالحياه
فأحبُو إلى ذِكرَياتِ الشبابْ
عرفتُ به فَوْرَةَ الأقوياءِ
بقلبي ، فأضحَتْ حياتي لهيب
وقالتْ ليَ الأرضُ « الملكُ لكْ »
تموتَ الظلالُ ويحيا الوهج

الملكُ لك
الملكُ لك
الملكُ لك

فيا صيحةً لم يقلها نَبي
ولا سَاحِرٌ هَمَجيٌّ الصَنجْ
ولكنها في مساري الدماء
ومن نَبْضَةِ الأذرعِ القادره
أواحدَتي ، وعرِفتُ القَلمْ
كتبتُ بهِ أحرفاً شاعِره
ليعرف إخوتي الأصفياءْ

نشيدَ البناء

الملك لك ...

أواحدتي ، في المساءِ الأخير
ألوبُ إلى غُرْفتي
ويزحمُ نفسي انبهَار غريبْ
وأنظر يا فتنتي للسماءْ
ومن بابها الذهبيّ الضياءْ
يضيءُ الدجى بانهارِ النجومْ
ينوّرِ في وجنتيها السلامُ ...
وتصدَحُ أجراسُها بالفـَرح
وأفرح يا فتنتي بالحياةِ
بالأرضِ ،
بالملكِ ،
الملكُ لك

لحن

جارتي مَدَّتْ من الشرفَةِ حبلاً من نَغَمْ
نغمٍ قاسٍ رتيبِ الضربِ منزوفِ القرَارْ
نغمٍ كالنار
نغمٍ يقلعُ من قلبي السكينه
نغمٍ يورِقُ في روحيَ أدغالاً حزينهْ
بيننا يا جارتي بحرٌ عميق
بيننا بحرٌ من العجزِ رهيبٌ وعميق
وأنا لستُ بقُرْصَانٍ ، ولمْ أركب سفينه
بيننا يا جارَتي سبعُ صحارَى
وأنا لَمْ أبرح القريةَ مُذْ كنتُ صَبيا

أُلقيتْ في رجليَ الأصفادُ مذ كنت صبيّا
أنتِ في القلعةِ تغفينَ على فرْشِ الحرير
وتذودينَ عن النفْسِ السآمهْ
بالمرايا واللآلي والعطورْ
وانتظار الفارس الأشقرِ في الليلِ الأخير
« أشرقي يا فتنتي »
« مولايَ !! »
« أشواقي رَمَتْ بي »
« آه لا تقسم على حُبّي بوجهِ القَمَرِ
ذلك الخدّاعُ في كُلّ مَساء
يَكتسي وجهاً جديدا ..
جارتي ! لستُ أميرا
لا ، ولستُ المضحكَ المراحَ في قصرِ الأمير
سأريك العجبَ المُعْجِبَ في شمسِ النهار
أنا لا أملكُ ما يَملأُ كفّيَّ طعاما
وبخدّيك من النِعمةِ تفاحٌ وسُكّرْ

فاضحكي يا جارَتي للتُعساء
نغـّمي صوتَكِ في كلّ فضاءْ
وإذا يُولَـدُ في العَتمَةِ مِصباحٌ فريدْ
فاذكري ...
زيتُهُ نورُ عيوني وعيونُ الأصْدقاء
ورفاقي طيبون
ربما لا يملكُ الواحدُ منهم حشوَةَ فم
ويمرّون على الدنيا خِفافاً كالنسمْ
ووديعينَ كأفراخ حَمامَهْ
وعلى كاهِلِهِمْ عبءٌ كبيرٌ وفريد
عبءُ أن يُولَدَ في العَتمَةِ مِصْباحٌ وَحيد ...

أغنية حب

وجهُ حبيبي خيمةٌ من نورْ
شعر حبيبي حقلُ حنطهْ
خدا حبيبي فلقتا رمانْ
جيد حبيبي مقلعُ من الرخامْ
نهدا حبيبي طائرانِ توأمانِ أزغبانْ
حضن حبيبي واحةٌ من الكرومِ والعطورْ
الكنزُ والجنةُ والسلامُ والأمانْ
قربُ حبيبي

لقد صنعتُ من ضلوعي ذلكَ الصندوق

أوتارُهُ الظلامُ والخيالُ ، مُقلَتايَ عازفانْ
وجئتُ بستانَكِ الصغير ، يا مليكيةَ النساء
في غَبْشَةِ المساء
من بعد أن أنفقتُ يومي في الغناءِ للصِحَاب
حدثتُهم عن لوعَتي ، يا جَرْحِي ، المخضلَ ، يا ذلّي ،
وكلُّهم جريحْ

وليس مثلي واحدٌ ...
جيد حبيبي مِقلَع من الرخام
وجه حبيبي خيمة من نور
عَلّقْتُ أقداري على خيطٍ رفيعٍ من ضِياء

صنعتُ مركباً من الدخان والمدادِ والورق
رُبّانُها أمهرُ من قادَ سفيناً في خِضَمْ
وفوق قمةِ السفين يَخفقُ العَلم
وجه حبيبي خيمة من نور

وجه حبيبي يَبرُقُ في المنشورْ
جبتُ الليالي باحثاً في جوفِها عن لؤلؤهْ
وعدتُ في الجرابِ بضعةٌ من المحَار
وكومةٌ من الحَصَى ، وقَبضَةٌ من الجمار
وما وجدتُ اللؤلؤه
سيدتي ، إليكِ قلبي ، واغفري لي ، أبيضٌ كاللؤلؤه
وطيبٌ كاللؤلؤه
ولامعٌ كاللؤلؤه
هديةُ الفقير
وقد ترينَهُ يزين عُشَّكِ الصَغيرْ ...

أناشيد غرام

- ١ -

يا أملاً تبسّما
يا زَهراً تبرعما
يا رشفةً على ظَما
يا طائراً مغرداً مُرنّما
ما حطَّ حتى حوّما
قلبي فريد
يغورُ فيه جُرحُهُ المديد
لأنه يا حبّي الوحيد
طفلٌ عنيد

مشرَّدُ الخطى
يتوه في المدى
وراء َنغْمَة بعيدةِ الصدى
لعلَّهُ خداعْ
لعلَّ في بحرِ الهوى الضياع
لكنَّ ريحاً تنشرُ الشِراع
لرحلة بلا ُصوَى
إلى الهوى ..!
إلى الهوى
للحبِّ من جديد

وأنتِ يا حبيبتي أسْقَيْتني َخمْرَه
في كاسةٍ مدوَّرَه
وطارَ قلبي ، ثم ِطرْت إثْرَهُ
فلستُ صاحياً لكي أُراجِعَ الهوى
لعلَّني أكونْ

غرقتُ في دوّامةِ الجُنُون
لقد تركتُ العقلَ للذين يعقلوُن
وكلُّ ما أدريه أنني فتنتُ بك
بروحِكِ المحيّره
والنظرةِ المنكسره
والقامةِ المقتدره
وكلّ شيءٍ فيك يا حبيبتي كأنّهُ ذوْقي
وما حلمتُ أن أراهُ طيلةَ الأعوامْ

- ٢ -

حُبكْ
عصفورٌ يَنْقُرُ في بَيْدَرْ
قلبي بَيدَر
عيناكَ نُعاسٌ مخمُورُ
والخصلةُ ظِلّي من وَهَجَ الخدّين
والشفتين

خطٌ شفَقِيٌ عانقَ خطًّا
وهلالٌ من رَحمَهْ
يُغفي في صَدرِ هلالٍ من حُبْ
قالت شفتاك نعَمْ
فأنا ملقىً فوق بساطِ الريحِ إلها مجبُورا
نبَسَتْ شفتاكَ بلا ...
فأنا حائرْ
والظلمةُ تورقُ في قلبيَ دَغَلا
فلنفرح يا حبي ! فالعمرُ قصير
فلنفرح يا كنزَ الفرحةِ ...
يا كنزي ...

- ٣ -

أحبُك يا ليلايَ ، لا القلبُ غادرٌ
هواهُ ، ولا الأيامَ مُسعِفَةٌ حُبّي
وأنتِ على البينِ المُشتّ وشيكةٌ

ولمّا تقِضّ الحاجُ للوالهِ الصَبّ
وكيفَ احتمالي البعدَ ، والبعدُ لوعةٌ
وكيفَ مُقامي ، والهوى نازعٌ لِـلُبّي
وفي كل ما ترنو له العين ذِكرَةٌ
لهذا المحيّا الطلقِ ، والمبسمِ العذبِ
وأشجانِ ما نحكي وأحلامِ ما نرى
وأفياءِ عطفٍ يستظلّ بها قلبي
وقلتُ لقلبي — والأماني تعلّةٌ
رسا زورقي بعدَ الترحّلِ يا قلبي
وها قد بدا الحبُ الكبيرُ لناظري
نفضتُ يدي مما سواهُ من الحبّ

- ٤ -

وللقمرْ . . .
وجهُكِ الطفْلي
وللنسمْ

طباعُكِ الرقيقهْ
وفي مساء الصيفْ
صفاءُ نفسكِ الحيِّيةِ الحبيبهْ
أودعتُهمْ – من قريتي – أمانةَ السلامْ
عليكِ يا حبيبتي ، لأنهم أصحاب
وأن يوشوشوا جميعَهُم بأذنِكِ الصغيره
في فجرِ يومِ العيد
« ليمتلىء بالفرحِ والأعيادِ عُمْرُكِ الطويل »
وقال لي القمر :
« لقَدْ دلفْتُ في حياءٍ نحو فرْشِها الصغيرْ
ثم وقفتُ ذاهلاً كأنني مَسحُور
وكان وجهها مُنوّراً كأنهُ .. قمَرْ
وقلتُ : يا أختي تقبّلي السلام
ثم تركتُ فوق خدّها نُجَيمَتَيْن
وقالَ لي النسيم :
« أحنيتُ رأسي عند بابها ، وكنتُ أرتجِف

فطمأنتني ، ثم قالت : عِم مساءً يا نسيمُ، ما وراءك؟
فقلتُ : يا مليكةَ النساءِ يبعثُ الفتى
من دارِهِ الريفية السلامَ للمليكه
وأحمرّ خدّها ، وتمتمتْ بكلمتين حلوتين :
الشكرُ لكْ
تنفَسَتْ عندئذٍ في الغرفةِ الموسيقى
فلملمتْ كفّاي ثوبي ، وانطلقتُ في حفيف
مع النَغَمْ
مع النغم
مع النغم »
أما أخي ، زميل غربتي ، المسَاء
فقد غفَا بجانبي ينتظرُ الجواب
وحين عادَ صاحبايَ غانمِينْ
عانقتهُ ، ونمتُ في أحضانهِ الرحيبه
حبيبتي ! أتضحكينَ ؟... إنها أحلام
ما أجملَ الأحلام

لمثلِنا ، لِمنْ يُمزّقهُم شجَى الأيامْ

- ٥ -

لحنُ الختام يا حبيبتي هو السلامُ والدعاءْ
وأن تكوني لي ... إلى الأبد
وأن يكون حبُّنَا مباركاً كما الحيَاه
وناميا عميقةً جذورهُ في نفْسِنا
وأن نعيشَ هذه الأيامَ طاهرين شامِخَيْن
ممزوجةً أقدارُنا في كاسةٍ نعبُّها معاً
وأن تكونَ مقلتَاكِ آخر الذي أرى من الحياه
وحينَ يكونُ قلبُكِ الكبيرُ جنْبَ قلبي
فالبحرُ لا يفصلنا
والنارُ لا تخيفنا
وكلُ شيءٍ يا حبيبتي يهون
ما دمتِ لي ... إلى الأبد

رسالة الى صديقة

صديقتي
عِمي صباحاً ، إن أتاك في الصباح
هذا الخطاب من صديقِكِ المحطَّم المريضْ
وادعي لهُ إلهك الوديعَ أن يَشفيه
وسامحيه ، كيف يرجو أن يُنمّقَ الكلام
وكل ما يعيشُ فيه أجردٌ كئيبْ .. ؟
فقلبه كسيرْ
وجسمه مغللٌ إلى فراشه الصغير
وبالجراح والآلامِ قلبُهُ كسير
نهارُهُ ثرثرةُ العوادِ والصِحَاب

وليلهُ غرائبٌ لم يَحوِها كتاب
بالأمسِ في نومي رأيتُ الشيخَ محيي الدين
مجذوبَ حارتي العَجوزْ
وكانَ في حياتِهِ يُعايِنُ الإله
تصوّري ، وَيجتَلي سناه
وقالَ لي « ... ونسهرُ المساء
مسافِرَيْنَ في حديقَةِ الصفَاء
يكونُ ما يكونُ في مجالِسِ السحر
فظنَّ خيراً ، لا تَسلَني عن خَبَر
ويعقدُ الوجدُ اللسانَ ... من يبُحْ يَضل
ومِتْ مَغيظاً .. قاطعَ الطريقْ .. »
وماتَ شيخنا العجوزُ في عام الوباء
وصدقيني ، حين ماتَ فاح ريحُ طِيبْ
من جِسمِهِ السليبْ
وطارَ نعشُهُ ، وضجّتْ النساءُ بالدعاءِ والنحيب
بكيتُهُ ، فقد تَصرّمتْ بموتِهِ أواصرُ الصفاء

ما بينَ قلبيَ اللجوجِ والسماء
بالأمسِ زارني ، ووجهُهُ السمينُ يستديرْ
... مثلَ دينارٍ ذهَبْ
ومقلتاهُ حلوتان ... جرّتانِ من عسَل
عميقتانِ بالسرور
بياضُ ثوبِهِ يكادُ يخطفُ الأبصارْ
وقال لي – وصوتُهُ العميقُ كالنغم –
« يا صاحِ : أنتَ تابعي
فقم معي ..
رِدْ مشرعِي
فالأمرُ في الديوانِ ... قمْ ! »
– يا شيخُ محيي الدين إنني كسير
– لا يُكسَر الجناحُ، يا إنسانُ، والإنسانُ داءُ قلبهِ النسيانْ
– يا شيخُ محيي الدين إنني صغيرْ
– بل كلنا صغارٌ ... الحبيبُ وحدَهُ هو الكبير

لم أدر كيف غاب
لا من خلالِ باب
أنصَتُّ ، لم أسمعْ خطاهُ تلمَسُ التراب
حدَّقْتُ وانتفضْتُ ، وانزعجتُ لحظةً ، وغاب

صديقتي ، إني مريض
وساعدي مكسور
ومُهجتي على الفِراشِ كلَّ ساعةٍ تسيل
وأغزو الترابَ في سكينتي رداء
وأصنعُ الأكفان ، ثم أنْجُرُ التابوت
هذا الصباح ...
أدرتُ وجهي للحياةِ ، واغتمضت ، كي أموت
في هدأةِ السكوت
قد آن للشعاعِ أن يغيب
قد آن للغريبِ أن يؤوب
للمركب الجانِح أن يَرْسُو على شَطٍّ قريب

للجدولِ الناضِبِ أن ُيفضي إلى نهرٍ رحيب
وطرقتين فوقَ بابنا ... موزّعُ البريد
لا ! لا أريد
هل مِنْ مزيدٍ يا حياة ، محنتي ! هل من مزيد
خطابُكَ الرقيقُ كالقميص بين ُمقلتَيْ يعقوب
أنفاسُ عيسَى تصنعُ الحياةَ في التراب
الساقَ للكسيحْ
العينَ للضرير
هناءةَ الفؤادِ للمكروبْ
المقعدونَ الضائعونَ التائهونَ يفرحون
كمثلما َفرحْتُ بالخطابِ يا مسيحيَ الصغيرْ ...

نام في سلام

« لذكرى قريبي وصديقي الطيار محمد نبيل الباجوري »
« استشهد على رمال غزة في سبتمبر عام ١٩٥٥ »

وأذرفت عيناهُ دمعةَ السرورْ
ونَوّرت في وجهه النبيلِ بسمةٌ وديعهْ
يحارُ في تأويلها القضاهْ
ومد كفَّهُ ، منارةَ الضياءْ
ثم أجالَ طرفهُ كأنه يبارك الحياة والأحياء
بنظرةٍ باسمةٍ تُضاحِكُ السماءْ
وماتَ ذلك الوديعُ دون ما احتفالْ

معلّماً ورائداً في سُنّةِ الكمالْ
أما التلاميذُ الذين أنفقوا أيامهم محبّةً للحِكمه
فَقَدْ تهامَسوا بدهشةٍ
أيبسَمُ المعلم ؟ »
عندئذٍ أجابَ أكثرُ الشبابِ فطنهْ
ألم يَقُلْ لنا المعلمُ الشهيد حكمةَ الأجيال
يا أيها الإنسانُ ...
إعرفْ نفسك ..
وهو يموتُ وادعاً ، لأنه عرَفْ
فماتَ في سبيل سُنّةِ الكمالْ

وجرَّ آخَرُ صليبهُ ، ووجهُهُ يفورُ بالزَبَد
والجُهْدُ والرَمضاءُ يَفْريانِ منكبين عاريينْ
لكنّه ابتسمْ
لأنه قد وهبَ الحياهْ
أيامهُ القليله

لكي يزيدَ في هناءةِ ابتسامةِ الصِبى
ونشوةِ العذراء
وفرحةِ الآباءِ بالأبناء
لكي ترفَّ في سَحابةِ السماءْ
حمامةُ السلام

أما أخي « محمدٌ نبيل »
فقد طوى جِنازُهُ شوارعَ المدينهْ
في ظهرِ يومٍ قائظٍ ، والناسُ مطرقونْ
أحبابهُ ، أحبابُنا ، وأهلُ حيِّنا القديمْ
وأعولتْ صَبيةٌ في شرفةٍ مهدُومهْ
ودقَّ طبلٌ معولٌ ، وسارَ جُندٌ واجمون
وساءَلتْ مشيرةً عجوزُ
« في ذلكَ الصندوقِ ، من هذا الذي ثوى ؟ »
« هذا فتىً مجاهدٌ قد ماتَ في العشرين »
ولم تقل كَلِمةً ، إمرأةٌ غريبهْ

لكنـَّها من قوْمِنا ، في قلبها كنُوز
وتعرفُ الحنانَ والأحزان
فاندفعتْ باكيةً في زحمَةِ الجِنَازْ
ومسَّ لحمُها العجوزُ مِنكبي وساعدي
وكانَ لحمُ منكبي يغوصُ في الصندوق
وكلُّ شيءٍ كانَ هامداً كأنه يموتْ
لكنهُ يموتُ في عناقْ

وفي المدافن التي تنامُ في الحقولِ غيّبوهْ
لم يبقَ من هذا الوسيم غيرُ حفنةِ ترابْ
ترابِ مصر
تعود كي تنامَ في حضنِ الترابْ
تراب جدّنا وأهلِنا ، تنامْ
تنامُ في سلامْ
وكانَ فيَ وجه السما سحابة من الشَفق
حمراءُ مثلُ دَمّ

وكان في طرفِ المدَى نوَارةُ الحقُول
بيضاءُ مثلُ قلبِنا ، وقلبِهِ ، وقلبِ ميتين آخرين
من قومنا المجاهدين الطيبين
من قومنا الذين باركوا الحياة

مرتفع أبداً

رفع العلم المصري على مبنى البحرية ببور سعيد
يونيه سنة ١٩٥٦

لترتفعْ ، لترتفعْ ، يا أيها المجيدْ
يا أجملَ الأشياء في عينيَّ ، أنتَ يا خفاق
يا أيها العظيمُ ، يا محبوبُ ، يا رفيعُ ، يا مهيبْ
يا كلَّ شيءٍ كانَ في الحياةِ أو يكونْ
يا عَلَمي ، يا عَلَمَ الحريهْ
فداءُ تلكَ اللحظةِ المجيدةِ الثريَّهْ
مضى إلى السكون من أحبابنا ألوف

ليجعلوا قلوبهم تلاً من التُّراب
يقومُ فوقهُ العَلَمْ
ليفتلوا عروقَهُمْ ساريةً مجيدَه
يزينُ فرعَها العلم
لينسجُوا أيامهُمْ ديباجةً خضراءْ
ترف في الهواء
كوجهِكَ النبيل ، يا علم
ومن بياض المقلتينِ ، حين تشخَصانِ للسماء
تستمطرانِ – في ليالي اليأسِ بسمةَ الرجاء
هلالُكَ الوسيمُ ، يا عَلم
فلترتفعْ يا أشرفَ الأشياءْ
أفديكَ صاعِداً إلى السماء
كطائرٍ منَ الجنَانِ ينقُرُ السحابَ والأجواءْ
برفةٍ نبيلةٍ من ذلك الجناحْ
يهزُّ قلبنَا الحنينُ ، يا علم
في سحبةٍ صغيرةٍ من طرْفِكَ المعقودْ

يموجُ حبُّنا العميقُ ، يا عَلَم
لقد ملكتنَا بوجهكَ الجميل
ورفّةِ الجناح
وخفقك النبيل
ورقةِ الوشاحْ
وما اكتوينا في سبيل أن ترف يا عَلم

ليسترح علىْ وسادِ الشمس خدُّكَ الرقيقْ
إلى الأبدْ
لتضحكْ السماءُ لكْ
سحابةٌ سخيةٌ تظللك
والقمرُ الزاهي يُقبّلُكْ
والشفَقُ المخضوب بالدماءِ يَغسِلُكْ
لتحترق على المدى جُسومُنا
لكي تنيرَ أنتْ
تغوصُ في جوفِ الثرَى عِظامُنا

لتستطيلَ في قلبِ الثرَى ساريَتُكْ
وترتفع
وما تزالْ ترتفع
يا أشرفَ الأشياءْ

سأقتلك

اكتوبر سنة ١٩٥٦

سأقْتُلُك
من قبْلِ أن تَقْتُلني سأقتلك
من قبلِ أن تغوص في دَمي
أغوصُ في دَمِك
وليسَ بيننا سوى السلاح
وليحكُم السلاحُ بيننا
سنابكُ الجدودِ وقعُها المهيبُ ما يزَال
يموجُ في ذاكرَةِ الأيامْ

ونورُهُمْ يختالُ فوْقَ مَفرِقِ التاريخ
فمنهمْ الذي بنى حِجارةَ الأهرام
لكي يُمجِّدَ الإنسانَ حينَ يشمخُ الأنسان
ومنهمُ الذي بنى منارةَ الإسلام
لكي يقول للأنامِ : لا إله إلا الله
ونحنُ في حاضِرنا المجيدِ نصنع السلامْ
هديةً من شعبنا للعالم الجديد
العالَم الذي يريد
يريدُ للرجالِ أن يعانِقوا الرَجالَ دون حِقدْ
العالمُ الذي يريد
يريدُ للنساء أن يُغفينَ وادعاتْ
في أذرعِ الأزواج والأحبابِ والأبناءْ
العالَمُ الذي يُصبّحُ الأطفالَ ، نَوْرةَ الأمل
بنُغْمَةِ الحنان والدُمى وبالقُبل
العالمُ السعيدُ ، واحةُ الأجيال
في سعْيها قوافلُ الأجيال ، نحو عالم سعيد

وأنتَ ، والإمحالُ والعَياءُ والظلامُ في ُخطاك
تريد أن يَصفرّ في القلوبِ ُبرْعُمُ الآمال
في عالمٍ سعيد
أقسمتُ بالأهرامِ والإسلامِ والسلام
سأقتُلُك
بكُلّ ما ُسقيتُ من مراره الأيامْ
أغوصُ في دَمِك

أقسمتُ بالأخ الذي مضى ، وخلّتُه بلا ثمنْ
في عامِنا الماضي ، ولم ُيلفّ حول جسمه كفَن
لأنه احترق
على تراب « غزةَ » البيضاءَ بالطائرةِ احترق
كان اسمُه « نبيل »
وكنتُ في محبّتي أدعوهُ ُبلبُلي الحبيب
وكان راعفَ الجناح ، دائبَ الأسفار
وكان حينما يعودُ ينقرُ الودادَ من ُفؤادي ..

حبتين ... حبتين
فحبةٌ لجوعه ، وحبةٌ تذكار
وفي الأصيل ، كان يهدِلُ اللقاءَ أُغنوتين
فغنوةٌ لأهلنا ، وغنوةٌ للدار
لكنّهُ مضى ، وخِلتُهُ مضى بلا ثمن
أقسمتُ وجهُكَ الجديبُ سوف يُصبحُ الثمَن
من أجله سأقتلك
لأجل ثأره أغوصُ في دمك

الشمسُ في بلاد الشمس بهجةُ النظَر
وفوق معطفِ السحاب يدرُجُ القمر
وتزدهي النجوم كالزَهر
وفي ربى بلاد الشمس تورقُ الحياه
سنابلاً ذهب
والشمسُ واللجينُ في صبا الأصيل ينسجان
مطارفاً ما حازَها في وهمهِ فنّان

أقسمتُ بالقمر
وبالسحابِ والزَهر
وباللجين ، واهبِ الحياهْ
سأقتلك ،
من قبلِ أن تقتلَني سأقتلُكْ

أهلُ بلادي يصنعونَ الحبْ
كلامهُمْ أنغامْ
ولغوُهُمْ بسَّامْ
وحين يسغَبَونَ يطعمُونَ من صفاءِ القلْب
وحين يظمأون يشربونَ نهلةً من حُب
ويلغطون حين يلتقون بالسلامْ
– عليكمُ السلام
– عليكمُ السلام
لأنَّ من ذُرَى بلادنا ترقرق السلام
وفاضَ من بطاحها محبةً خضراءَ مثل نبتةِ الحقُول

ورقةً بيضاءَ كالأزهار في الخميل
ورحمةً زهراءْ
كقلبِ أمهاتنا
كفرحنا بعيدنا
كالقطنِ حين يستنير لوزُهُ جنى
وأنتَ ، يا مُدنّسَ الخطى
تريدُ ، بئسَ ما تريد
لكنني سأقتلك
من قبل أن تقتلني أغوصُ في دمِك

الشهيد

يا عجباً ، كلَّ مساءٍ موعدي مع المضرَّج الشهيد
كأنَّ منديلَ الشفقْ
دَمُهُ
كأنَّ مدرجَ الهلال كفُّهُ ومعصمُه
كأنَّ ظلمة المساءِ معطفُه
وبدْرةَ السنا أزرارُ سترتهْ
كأنّهُ مسافرٌ على جوادِ الليل مشرقاً ومغربا
كلَّ مساءٍ بلا ملالْ
يهيج في قلبي اللياعَ والشجى
لأن بين مقلتيه جرحاً ما يزالْ

وحين يوغلُ المساءُ ، أهتَفُ اسمهُ الحبيبْ
أدعوهُ أنْ يخف لي من أُفقهِ الرحيبْ
يجيءُ .. لا يكسر قلبي
تجوزُ خفـّاه إلى جواري
ويتكـّي جنبي على سريري
لكنما عيناي َ تطرفان ، تعشيانْ
وكيف لي ، وجرحُهُ في وجهه مصباح
الصمتَ ! لا أحار منطقا
وربما أقولُ : أنت
وربما تطوفُ في وجهيَ أنفاسُهُ
كأنما تقولُ جئتْ ...
لكنما ديكُ الصباحِ صاح في الأفق
لنفترق
لا تلـْهُ عن موعدنا ، إلى اللقا
وحين ينشُرُ الجناح
يقول خافقي : رأيتـُهُ

تقول مقلتي : كأنني رأيتْ

كل مساءٍ ينزلُ الشهيدُ في مدينته
يبثُّها أشواق قلبه البريءْ
وأمس مرَّ ثم حيًّا وجهُهُ الوضيءْ
هنيهةً وماج ثوبُهُ على استدارة الأفقْ
فوق رُبى المدينة الفساح
وانطفأتْ جراحُهُ في صدرها الجريءْ
ونوَّر المساءُ بالجراحْ
كأنه صباحْ ...

أغنية ولاء

صنعتُ لك
عرشاً من الحرير ... مخملي
نجرْتُهُ من صندَل
ومسندين تتكـّي عليهما
ولجةً من الرخام ، صخرُها ألماس
جلبتُ من سوق الرقيق قينتين
قطـّرْتُ من كرْم الجنان جفنتين
والكأسُ من بللور
أسرجتُ مصباحا
علـّقتُهُ في كوّةٍ في جانب الجدار

ونورهُ المفضضُ المهيب
وظلّهُ الغريب
في عالمٍ يلتفُّ في إزاره الشحيب
والليلُ قدْ راحا
وما قدْمتَ أنت ، زائري الحبيب

هدمتُ ما بنيت
أضعتُ ما اقتنيت
خرجتُ لك
علّي أوافي محملك
ومثلما ولدتُ - غيرِ شملة الإحرام - قد خرجتُ لك
أسائلُ الروّادْ
عن أرضك الغريبة الرهيبة الأسرار
في هدأة المساءِ ، والظلامُ خيمةٌ سوداء
ضربتُ في الوديان والتلاع والوهادْ
أسائلُ الروّاد

« ومن أراد أن يعيش فليمُتْ شهيد عشق »
أنا هنا ملقىً على الجدار
وقد دفنتُ في الخيال قلبيَ الوديع
وجسمي الصريع
في مهمه الخيال قدْ دفنْتُ قلبي الوديع

يا أيها الحبيب
معذّبي ، يا أيها الحبيب
أليس لي في المجلس السنّي حبوةُ التبيعْ
فإنني مطيع
وخادمٌ سميع
فإن أذنْت إنني النديم في الأسحار
حكايتي غرائبٌ لم يحوها كتابْ
طبائعي رقيقةٌ كالخمر في الأكواب
فإنَ لطفت هل إليّ رنوةُ الحنان
فإنني أدل بالهوى على الأخْدَان

أليس لي بقلبك العميق من مكان
وقد كسرتُ في هواك طينة الإنسان
وليس ثمّ من رجوعْ ...

اقول لـكم

أقولـــــــــ لكم

الشيء الحزين

هناكَ شيءٌ في نفوسنا حزينْ
قدْ يختفي ، ولا يَبينْ
لكنّهُ مَكنونْ
شيءٌ غريبٌ ... غامضٌ ... حنونْ

لعلّه التَذْكارْ
تذكار يومٍ تافهٍ بلا قرارْ
أو ليلةٍ قد ضمّها النسيانُ في إزارْ
« لو غصتَ في دفائن البحارْ
لجمّعَتْ كفّاك مِن محارها ...

تَـذْكار »

لعلّهُ الندمْ
فأنتَ لوْ دفنتَ جثةً بأرض
لأورَقَـت جذورها ، وأينَعَـتْ ثِمار
ثقيلةَ القدمْ

لعلّه الأسى
الليلُ حينما ارتمى على شوارع المدينهْ
وأغرقَ الشُطآن بالسكينهْ
تهدّمت معابرُ السرورِ والجلدْ
لا شيءَ يوْقِفُ الأساةَ ... لا أحدْ

يستيقظ الشيء الحزينُ في أواخرِ المساءْ
يمورُ في الأطرافِ والأعضاءْ
ويثقلُ العينينِ والنبرةَ والإيماءْ

لكنّهُ حنون
يَضُمّنا في خَدَرٍ مستسلمٍ مأمونْ
أنفاسُهُ تندى بلا لزوجة على الجباهِ والترائبْ
وتوقظُ الشهوةَ والأحلامَ والآمالَ والغرائبْ
لا تسأل الشيءَ الحزينَ أن يمرّ كلّ يومْ
على مرافيء العيونْ
لا تسأل الشيءَ الحزينَ أن يبينَ
... أنْ يبينْ
لأنه مكنونْ
لا تسأل الشيءَ الحزينَ أن يَقِرّ
لأنه كطائر البحارِ ... لا مَقرّ

وقل لهُ :
إذا أهلّ في المدى ، ونقّر البياضَ في عينيكْ
وغَيّم المكانُ بالدموعِ مثلَ حُلُمْ ...
« لقد مَلَكْتَني ... فَتَحْتُ لكْ
صندوقَ قلبيَ الكَليم

فلتقطرُ الدموعُ ... كالنَغَمْ

لو كان للانسان أن يعيشَ لحظةَ العذابِ ...
... مرتينْ
بكل عمقها الكئيب الساذَجِ المقرورْ
أن يَلِدَ الآهةَ ... مرتين
خالصةً بلا سرورْ
وأن يَحِسَّ ذلكَ الشيء الحزين جِسَّتَيْن
لكي يرى فُجاءَتَهْ
ويستبين وجهَهُ ومِشْيَتَهْ
لو اتكأتَ أيها الشيءُ الحزينُ مرةً على مرافيء العيونْ
لو رَكبكَ المُسافِرونَ ...
...ينزلونْ

موت فلاح

لم يَكُ يوماً مثلنا يستعجل الموتا
لأنّهُ كل صباحٍ ، كانَ يَصْنَعُ الحياة في التراب
ولم يكُنْ كدأبنا يلغط بالفلسفةِ الميّته
لأنه لا يجد الوقتا
فلم يُمِلْ للشَمْسِ رأسَهُ الثَـقيلَ بالعذابْ
والصخرةُ السمراءُ ظَلّتْ بين منكبيه ثابتهْ
كانت له عمامةٌ عريضةٌ تعلوه
وقامةٌ مديدةٌ كأنها وثنْ
ولحيةٌ ، الملحُ والفلفلُ ، لوناها
ووجهُهُ مثلُ أديمِ الأرض مجدورُ

لكنه ، والموتُ مقدورُ ،
قضى ظهيرةَ النهارِ ، والترابُ في يده
والماءُ يَجْري بين أقدامه
وعندما جاءَ مَلاكُ الموتِ يَدْعوهُ
لوّن بالدهشةِ عيناً وفَما
واستغفر الله
ثم ارتمى ...
والفأسُ والدرةُ في جانبه تكَوّما
وجاء أهلُهُ ، وأسبلوا جفونَه
وكفنوا جثمانَهُ ، وقَبلوا جبينه
وغيبوهُ في التراب ، في منخفض الرمال
وحدقوا إلى الحقول في سكينه
وأرسلوا تنهيدةً قصيرةً ... قصيره
ثم مضوا الرحلةٍ يخوضها بقريتي الصغيره
ن أول الدهرِ ، الرجال
من أول الزمانِ ...
حتى الموتِ في الظهيره ...

كلمات لا تعرف السعادة

ما يولد في الظلمات ِ يفاجئه النورْ
فيعرّيه ْ
لا يحيا حبٌ غوّارٌ في بطن الشك أو التمويه
لا يقتاتُ الإنسانُ فم الجرح ِ الصديان ِ ...
... ويلتذْ
لا توضع كفٌ في نار ٍ ... لا تهتزْ
أشباح الماضي بئسَ الرؤيا حينَ تجهنمها الغيْرَه
فإذا لاقى قلبان ِ ثقيلان ِ الدنيا
ظنّا ما مات يكفّنُ في الكلمات ِ الحلوه
في الألفاظ البيض ِ المجلوّه ْ

في العهدِ المسبل فوقَ الأمسِ
ودون اليوم ، وحول الذكرى
وَهْماً وَهْماً ... قالا للنسيان
يا نسيانُ ،
اجمع ذكرانا ، واقذفها في البحر
يا نسيانُ، اجعل ماضَينا من أصدافٍ ،
مستقبلنا من تبرْ
فهما قلبان ، وإن فرحا بالعمرِ شقيانِ
عشنا ، عشنا
في مضجعنا مما عشناه نخَبّي جزءاً ...
نكشفُ جزءاً
لو أفلَتَ حلقانا
لو قلْنا ما خبّأنا شيئاً
لتفرقنا
لتفرق قلبانا ، وصَرخْنا نأياً ، نأيا
لتبدت في عينينا رؤيا

أشباح الماضي حين تجهنمها الغيره

لو كنا نملك شيئاً غير الحب لبعثرناه
فوق رؤوسِ الأحبابْ
لو قلبانا من ذهبٍ مكنوزٍ خلفَ جدار
لكشفناه
وملأنا راحاتِ الأحباب
لو قلبانا زادٌ من تمْرٍ ومَعينٍ أوقَدْنا النار
وجمعنا الأحباب
لو كنا نعرفُ أن َنفرحَ فرحةَ طفلٍ غفُلِ القَلْبْ
عرف الدنيا ُحبّاً يَنْمو في ِظلّةِ ُحب
لأذبنا الفرحةَ في أكوابِ الأحباب

لكنّا حين ضحكنا أمس مساءْ
رنّتْ في ذيل الضَحِكات
نبراتُ بكاءْ

واتكأت في عَيْنيّ دمَيْعات
أغفَتْ زَمَناً في استحياء
كانت عيناك تقولان لقلبي ولعَيْنَيّه
الجرحُ هنا ، لكني أخفيه
وأداريه
لكنْ ما يولدُ في الظُلُماتِ يُفاجئُه النور
فيعريه

لو كنا نملكُ أن نتمنى ... ثم نجاب
ونعود لنولَد ثانيةً ... أحباب
نلقى الحب جديداً غضا
لم يعرفْ قلبانا من قبلِ لقانا خفقَا
لم تلمس كفٌ ساخنةٌ شفةً منا أو عِرْقا
لو كنا نملك أن نحيا في قمصانِ الغيبِ المسدلةِ الأكمام
حتى تُدنينا الأيام
لو كنا نملك ما خطرَتْ في عينينا رؤيا

أشباحِ الماضي حين تجهنمها الغيره
لو كنا نملكُ
... ما ناشَدْنا النسيانْ

الالفاظ

فليعبثْ حلقكِ بالألفاظِ ، الألفاظُ (هواء)
من يمسكهُ أو يمسكُها .. تلك الألفاظُ الجوفاءْ
لكِنْ هذي الألفاظ تهب هبوب الريح على وجهي
آناً تـُدْفيني الألفاظُ الحرّى
وتـُقـَفـْقِفـُني الألفاظُ الباردة الرعناءْ

لفظٌ حالمْ
قد يولدُ في ليلٍ ناعمْ
في حضن النيلِ الباسمْ

لفظ مصمتْ
وأكاد أصيح بقائله : أصمت
فالجرح تدغدغه الألفاظ

لفظٌ قاتلْ
ذو ألف لسانٍ تنفث سما
أو لفظٌ يُرْديني .. لا قطرةُ دم
والسكينُ الألفاظُ تشق اللحمْ
وأظل أسائِلُ : ماذا تَعْني في خاطرك الألفاظ
ألفاظٌ قاتلةٌ في رفقٍ ، خالصةُ الكفين من الدم
أشياءٌ تافهةٌ هي عندَكِ ... ألفاظْ
كُفّي ، كُفّي ، إن الألفاظَ ثمارُ الأشجارْ
أبهى ما تحملُ من نوّارْ
وكما أنّ الشّجَر الطيّبْ
يعطي ثمراً طيّبْ
فالانسانُ الطيبْ

لا ينطق إلا اللفظَ الطيبْ
يا سيدتي ، يا نبْتَ الصحراءِ الجرداءْ
فلتقتصدي ، فلتقتصدي في الألفاظِ
الألفاظِ الجوفاءْ ...

أغنية خضراء

فيروزهْ
يا خضراءَ العينين
يا حبّي ..!
لِمَ لا ترْضَيْنْ
وكأنّ علينا قد خطّت أقدارُ
وكأنّ الغربةَ ميقاتٌ لا بُدّ نؤديه
أنْ نضربَ أعواماً في التيه
أنْ نَعْبُدَ أصناماً مكذوبهْ
ونجدّفَ بالقلبين ، وقد خاضا للحبْ
صَحْراءَ الشوْقِ ... رهيبهْ

يا فيروزه
في ظل الليل نثرتُ العمرَ نثِارا
أياماً جائعةً ... دارا
وليالِيَ مثقلةً أوزارا
أو أفكاراً
وصُباباتٍ من كأسِ الحبّ جرَعْتُ على غُصّه
كم من شفَةٍ حمراءِ الظِلْ
سوداءِ القلبِ على غِلْ
أو عينٍ تبحثُ في روحيَ عن سري
عن كنزٍ غافٍ في صدري
لتبعثره أخبارا
أو تحرقه ناراً تتدفّا
في شعلتها أيامٌ باردة ... جَوْفا ...
أنا مصلوب ، والحب صليبي
وحملتُ عن الناس الاحزانْ
في حب إله مكذوبِ

لَمْ يَسْلَمَ لي من سعيي الخاسرِ إلا الشعر
كلمات الشعرْ
عاشَتْ لتُهَدهدني
لأفرّ إليها من صَخَب الايّامِ المُضْني
إن تجفُ فَجَفوَةُ إدلالٍ لا إذْلالْ
أو تحنُ ، فيا فَرَحي غرّدْ ، يا نعمةَ أيامي عودي
يا فيروزه
يا أصحابي ! يا أحبابي
حيّوا مولايَ الشعرْ
سلمت لي – من عُقْبى أيامي – الكلماتْ

وَفَدا في ليلةِ صَيْفْ
ولجا من بابِ القلبِ كما يَلجُ الضَيْفْ
كانا بَسّامَيْن
صنعا إيماءةَ نُبْلْ
قالا للقلبِ : سَعِدْتَ مَساءً يا قلبْ

وتقدّمَ هذا المحبوبُ .. الحُب
ورَمى في َقلْبي فيرُوزه
خضراءَ بلونِ الآمالْ
وأشارَ .. وقالْ
قم يا شادي ... غرّدْ ... بارِكْ للحبّ
كرّسْ هذا الاسمَ العَذْب
وتقدّم هذا المحبوبُ ... الشعر
وبإصبعه فكّ الخِتْمَ وافْشى السّر
أنشأتُ أغرّدُ في صَوْتٍ بالدَمْعةِ رطبْ
لليلِ ، وللفجرِ الغافي بالبابِ
ولأصحابي
للعينين الخضراوين
للمَلَكَيْنِ
خرجا من داري مُعْتَنِقَيْنِ سَعيدَيْن

في الليل دعوْتُ بقلبٍ مكروب

فليشْملني ظلّ العينينِ الخَـضْراوين
ولتخضرّ الكلماتُ بروحي
ولترقـُدْ ليلائي في َبحْرِ السَعْدِ الأخْضَر
ولتورقْ خضراء الأصبْاحْ
خضراءَ بلونِ الفيروزه

يا فيروزه
إني ألقيتُ الحِملَ على البابِ الأخْضَرْ
وشفيعايَ المَلـَكانِ المحبوبان
لكنّ البابَ يَصُدّ صدوداً مُرْ
وأظلّ على الأبوابِ طريحاً مجروحاً
يا حبي ..!
الدربُ مَضَلـّهْ
والطرقُ على الأبواب مَذَلـّهْ
يا حبي ،
فلتفتحْ لي الأبوابُ ،

... فقد أقصاني الحُجّاب
ومكاني لم يملأهُ غيري إنسانْ
يا حُبّي ...
فلتفتح لي الأبوابُ ،
أنا الشادي الفارسْ
أشعاري وردُ البستانْ
سمرُ الركبانِ على الوديان
وأنا من فتيانِ القريهْ
أوفاهُمْ في الحب
وشجاعةُ قلبي مَرْوِيّهْ
يا حِبّي ، فلتفتح لي الأبوابْ
إني أخشى هذا الليلْ
يتحدّر من خَلْفِ الأفقِ النائي كالسَيْل
يا حبي ، قولي للحُجّابْ
فلتفتح لي الأبوابُ ،
أنا الشادي الإنسانْ

قالت

قالتْ ...

لا يولدُ إنسانانِ على قدرٍ إلا التقيا

فمتى ألقاهْ ؟

أيامي موحشةٌ ، وليالِيّ تؤانِسُها الآهْ

قالت ...

إني أنظرُ في أحداقِ الناسِ وفي شفتَيْهمْ

أتملاه ...

ووجدتهمو أغراباً عن روحي ، وأخو الروحِ بعيدٌ

ما أقساهْ

قالت ...

في ذات مساء سوف يُهلّ على دنياي ...
أنا دنياه
سيمدّ إليّ يديه ، ويناديني ، وسأعرفُه
وسأخطُرُ في يمناه

يا أختي ، أنا قد أنفقتُ الأيامَ أحاورُها وأداجيها
وكأنّ الله
لم تنسِجْ كفّاهُ لقلبي قدري الإنسانَ ... الله
ينسانا يا أختاه ...

هل كان حباً

هل كان ما بيننا
حباً ... وعشناه
أم كانَ حلماً ... عندما
أدركنا الصبحُ نسينْاهُ
أم اننّا خفنْا على قلبِنا
وفي ثرى الخوفِ دفنّاهُ
لو عاشَ ، لو فتحتْ للشمسِ عينْاهُ
كنّا رعينْاهُ
لمّا تركناهُ
في مهمهٍ قاسٍ رميناهُ

في قلبه أنفاسه تبكي
أنـَّا هَجَرْناهُ
يا أيها الحبُّ الذي ماتا
لو يرجعُ اليومُ الذي فاتا
لو عاد يومٌ منكَ ...
عِشْناهُ ...

العائد

طفلنا الأوّلُ قد عادَ إلينا
بعد أن تاهَ عن البيتِ سنينا
عاد خجلانَ ... حييّاً ... وحزينا
فتلمسنا بكفٍ نبَضَتْ فيها عروقُ الرِعْشَةِ الأولى الجَبينا
وتعَرّفنا عليهِ
وبكى لما بكينا في يَدَيْهِ
وارتمى بين ذراعينا ، وأغفى مطمئناً ، وغفَوْنا
وتكسرنا على عينيهِ ظِلاّ
وتهدجنا على مبسمه المزمومِ أنفاساً نديّاتٍ
... وطَلاّ

واستدَرْنا حَوْلَه
شفقاً أسمرَ من حولِ هلالٍ نائمٍ في قلبنا

كان طفلاً عندما فرّ عن البيتِ وولّى
من سنينٍ عشرةٍ ، ذات مساء ، كان طفلا
وافتقدناهُ ، وناديناهُ في أحلامنا
وانتظرنا خَطْوَهُ المُخضَرَّ في كلّ ربيعْ
وشكونا جرحَهُ خِلاّنَنا
وتسلينا بكأسٍ مرةٍ من يأسنا
وتناسيناهُ إلاّ رِعْدَةً تجتاحُنا أوّلَ أيامِ الربيعْ
عندما نشعر بالشوق إلى طفلٍ وديعْ
عندما تلقى بنا وحدتُنا في وَهْمِنا
عندما يعصُرُ قلبينا ضنىً مُرٌّ وجوعٌ للفرحْ
لائبٌ يسألُ عن فرحتِنا

نَعِمَتْ بين الليالي ليلةٌ عادَ إلينا في دُجاها

وتعرّفنا عليهِ
وبكى لما بكينا ذُلّنا عشرَ سنينٍ في يديه
ذلنا عشر سنين، شيّبَتْ منا الجباها
جعلَتْ منا عبيداً للأسى
وهو ما زال صغيراً، وإلها

نحن لم ننسَ، ولكنّ طولَ الجرح يغري بالتناسي
عندما يخلعُ صيفٌ ثوبه بعد شتاء مكفهرِ الوجه قاسِ
وعلى عقبيهما يأتي خريفٌ مجدبٌ دونَ نداوهْ
وتعرّي كفُّهُ العالمَ من كل بهاءٍ وحلاوهْ
عندما ينقلبُ التذكارُ عبئاً وعذاباً وقصورا
وبكاءً أخرسَ النبرةِ وحشيّاً ضريرا
عندما يلجئُنا الحزنُ إلى بطْنِ جدار
ليُسفّي فوقنا مثلَ ترابِ الموتِ زهرَهْ
زهرةً ميتةً طال عليها الاحتضارْ
لا نرى إلا التناسي مهرباً من موتِنا

موتنا القادمِ في ضوءِ النهارْ

قل لنا ، يا أيها العائدُ ... من أيّ طريقٍ جئتنا
أي كفٍ مَسّحَتَنْكْ
وعلى بحر الليالي حَمَلَتْك
نحـــونا
بعد أنْ شلناك حزناً هادئاً في جفننا
وحملناك أسىً في صوتنا
ومشينا بك في أعصابِنا خطواً ثقيلا
وبكيناك — بلا دمعٍ — طويلا
ويئسنا منكَ يأساً كبريائياً نبيلا

قل لنا يا أيها العائد في أيّ سحابهْ
خزنتكَ النعمةُ الكبرى لنا
لتروّي مَغْرِبَ العمر لشيخيك هنا
قل لنا يا أيها العائد هل أنتَ مقيمٌ بيننا

واتئد يا طفلنا الأوحد ...
فالدنيا عقيمٌ وعجوزْ
لم يعد غيرُكَ في الدنيا ... لنا

ثلاث صور من غزة

-١-

لم يكُ في عيونِهِ وصوته ألمْ
لأنه أحسّه سنهْ
ولا كَهُ .. استنشقه سنهْ
وشاله في قلبِهِ سنهْ
وطالتْ السنون أزْمِنَهْ
فأصبحت آلامُه – في صدْرِهِ – حقدا
بل أملاً ينتظر الغدا

-٢-

يا أيها الصغارْ
عيونُكُمْ تحرقني بنارْ
تسألني أعماقُها عن مطلعِ النهارْ
عن عودةٍ إلى الديارْ
أقول ... يا صغارْ
لننتظر غـداً
لو ضاع منا الغد ، يا صغارُ ...
ضاعَ عُمْرُنا سدى

-٣-

كانت له أرض وزيتونهْ
وكرمةٌ ، وساحةٌ ، ودارْ
وعندما أوْفَتْ به سفائنُ العمرِ إلى شواطىء السَكينَهْ
وخطّ قبره على ذَرَى التلالْ
انطلقت كتائبُ التتارْ

تذودُهُ عن أرْضِهِ الحَزينَهْ
لكنّهُ خلفَ سياجِ الشوكِ والصبّارِ ظل واقفاً ...
بــلا ملال
يرفضُ أن يموتَ قبلَ يومِ ثارْ
يا حُلُمَ يومِ الثّارْ

أبو تمام

« في مهرجان أبي تمام ١٩٦١ »

الصوتُ الصارخُ في عموريه
لم يَذْهَبْ في البَرّيَهْ
سيفُ « البغدادي » الثائرْ
شقّ الصَحْراءَ إليه ... لَبّاهْ
حين دَعَتْ أختٌ عربيهْ
وامعتصماهْ
لكنّ الصوتَ الصارخَ في طَبَريهْ
لبّاهُ مؤتمرانْ

لكنْ الصوتَ الصارخَ في وَهْرانْ
لَبَّتْهُ الأحزانْ
يا سيفَ المعتصمِ الثائرْ
اخلع غِمدَ سحابِكَ ، وانزِل في قلبِ الظُلْمَهْ
شقّ العَتْمه
واضرب يمنى في طبريّه
واضرب يُسرى في وهران

في موعد تَذْكارِك يا جدُّ
يلقى الأبناءُ الأبناءْ
يتماطونَ أفاويقَ الأنْباء
والسيفُ المغمدُ في صدرِ الأختِ العربيه
ما زال يشق النهدينْ
وأبو تمام الجدّ حزينٌ لا يترنمْ
قد قال لنا ما لم نفهمْ
والسيف الصادقُ في الغمد طويناه

وقَنَعنا بالكُتُبِ المَرويّه

يومُكَ لا يَسقينا فرَحاً
أو يسقيكَ رضاً
التذكارُ ثقيلٌ حين حملناه
ندماً
والحسرةُ في وجهِكَ بعدَ الأعوامِ ... الأعوامْ
صارَتْ ألمَا
ولقاءُ الجدّ أبي تمام
عيدٌ للأحزانِ المورقةِ الأكمام
عيد تعلّاتٍ وكلامْ
عيد دِما
تطلبُ سقياها ، فتُجابُ ظما ...

أحبك

لا ، لا تنطِق الكلمهْ
دعها بجَوْفِ الصدرِ منبهمه
دعها مغمغمةً على الحلق
دعها ممزقَـةً على الشدقِ
دعها مُقَطّعَةَ الأوصالِ مَرْميه
لا تجمعِ الكلمه ...
دعها رماديه
فاللون في الكلماتِ ضَيّعَنا
دعها غماميهْ
فالخصبُ شرّدنا وجَوّعنا

دعها سديميه
فالشكْلُ في الكلماتِ تَوَهّمنا
دعها تُرابيَه
لا تلقِ نبضَ الروحِ في كَلِمَه

كم مرةٍ جاشَتْ بِيَ الكَلِمَهْ
وبَدَتْ لعَيْني ، وهيَ تَستَأْني
فوقَ الشِفاهِ رقيقةً تُحْني
جيداً ، وتَستَدْني
خدّيْن مضمومينِ في بَسْمَه
وتكادُ تَغلِبُني على قَصْدي
لأقولَ ما أعْني
وأفُكّ طِلسمي ، وأجمعَ مِنْ
حلقي الشباكَ لتُفْلتَ الكلمهْ
وأعودُ أذْكُرُ مرةً سَلَفَتْ
عامين من بأسائها اعترَفَتْ

روحي الكتومُ لأنّها اعترفَتْ
وسقطتْ تحتَ سنابك الكلمهْ

لا ، لا تنطقِ الكلمهْ ...
حتى ولوْ ماجَتْ بوجهِ النيلْ
أنسامُ ليلةِ صيفْ
حتى ولو رَفّت على أرْغولْ
محرورةً ، نَغَمَهْ
حتى ولو في الرملِ خطّ الإلْف
حرفَينِ ملْويّيْنْ
حتى ولو طالَعْتَ في عينيه ... في العُمْقَيْنْ
قَسَماتِكَ المحمومةَ الشَفَتَين
وتَساءَلَتْ شفتاكَ ... ما كلِمَه ؟
تُهدي لخدٍ باسمٍ ... نِعمَه
وتنامُ في كفينِ ممدودين
وتطوفُ أنفاساً على نَهدَين

ما أجملَ الكَلِمَه ..!

ها قد َنسيتَ حياتكَ الأولى
والجرحَ والذّلَهْ
ها قدْ جمعتَ الحرفَ جنبَ الحرفِ والحرفَيْن
َلمَعَتْ بشيءٍ دافيءٍ مقله
وتمدّدَ الإعياءُ في الشَفَتَين
وعدا َجسورٌ كانَ َمغْلولا
وسقطتَ تحتَ سَنابِلِك الكَلِمَه ..

الظل والصليب

- ١ -

هذا زمانُ السأمْ
نفخُ الأراجيلِ سأمْ
دبيبُ فخذِ امرأةٍ ما بَيْنَ إليتيْ رَجُلْ ...
سأمْ
لا عمقَ للألَمُ
لأنه كالزيتِ فوقَ صفحةِ السأمْ
لا طعمَ للندَمْ
لأنهمْ لا يَحمِلونَ الوِزْرَ إلّا لحظةً ...
ويهبطُ السأم

يَغسلُهم من رأسِهم إلى القَدَم
طهارةٌ بيضاءَ تنبتُ القبورَ في مَغاورِ النَدَم
نَدفِنُ فيها جُثَثُ الأفكارِ والأحزانِ ، مِن
تُرابها ...

يقومُ هيكلُ الإنسانْ
إنسانُ هذا العصرِ والأوانْ
« أنا رَجَعْتُ من بحارِ الفِكرِ دونَ فِكْر
قابلني الفِكْرُ ، ولكني رَجَعْتُ دونَ فِكر
أنا رجعتُ من بحارِ المَوْتِ دونَ مَوْت
حين أتاني الموتُ ، لم يَجِدْ لديّ ما يُميتُهُ ،
وعُدْتُ دونَ موت

أنا الذي أحيا بلا أبعادْ
أنا الذي أحيا بلا آمادْ
أنا الذي أحيا بلا أمجادْ
أنا الذي أحيا بلا ظلٍ ... بلا صليبْ
الظلُّ لصٌ يسرقُ السعادَهْ

ومَنْ يَعِشْ بِظلّهِ يمشي إلى الصليبِ ، في نهايَة الطَريقْ

يَصْلِبُهُ حُزْنُهُ ، تُسْمَلُ عيناهُ بلا بَرِيق

يا شجرَ الصفصافِ : إنّ ألفَ غصْنٍ من غصونِكَ الكثيفهْ

تنبتُ في الصحراءِ لوْ سكبتُ دمعتين

تصلِبُني يا شَجَرَ الصفصافِ لَوْ فَكّرتْ

تصلبني يا شجر الصفصاف لو ذَكَرْتْ

تصلبني يا شجر الصفصاف لو حَمَلْتُ ظِلّي فوقَ كِتْفي ، وانطلقت

وانكَسَرْتْ

أو انتصَرْتْ

إنسانُ هذا العصرِ سَيّدُ الحياه

لأنهُ يعيشُها سَأم ...

يَزْني بها سَأم ...

يَموتُها سَأم ...

- ٢ -

قُلْتُم لي :
لا تدسُسْ أنفَكَ فيما يَعني جارَكْ
لكنّي أسألُكُمْ أن تعطوني أنْفي
وَجْهي في مِرآتي مَجْدوعُ الأنْف

-٣-

ملاحُنا يَنْتِفُ شعرَ الذقنِ في جُنون
يدعو إله النِقْمةِ المجنونِ أنْ يلينَ قلبهُ ، ولا يلين
« ينشدُهُ أبناءَه وأهلَه الأدْنَيْنَ ، والوسادة التي
لوى عليها فَخْذَ زوجِهِ ، أولدَها محمداً وأحمداً
وسيدا
وخضرةَ البكرَ التي لم يَفْتَرِعْ حِجابها إنْسٌ
ولا شَيْطان »
« يدعو إله النِعْمة الأمين أن يَرعاهُ حتى يَقْضي
الصلاةَ ،

حتى يؤتي الزكاةَ ، حتى يَنْحرَ القربانَ ، حتى يبتني
بحُرِّ مالِهِ كنيسةً ومسجداً وخانْ »
للفقراء التاعسينَ من صَعاليكِ الزَمانْ
ملاحُنا يَلوي أصابعاً خطاطيفَ على المِجْدافِ والسكان
ملاحُنا هَوى إلى قاعِ السَفينِ ، واستكانْ
وجاشَ بالبُكا بلا دَمْعٍ ... بلا لِسانْ
ملاحُنا ماتَ قبيلَ الموتِ ، حينَ وَدّعَ الأصْحاب
... والأحبابَ والزمانَ والمكانْ
عادَتْ إلى قمقمها حياتُهُ ، وانكمَشَتْ أعضاؤه ، ومال
ومدّ جِسْمَهُ على خطّ الزّوالْ
يا شَيْخَنَا الملاحَ ...
.. قلبكَ الجريءُ كانَ ثابتاً فما له استُطير
أشارَ بالأصابِـع الملوّيَة الأعناقِ نحو المشرقِ البعيدْ ...
ثمّ قالْ :
– هذي جبالُ المِلْحِ والقَصْدير
فكلّ مَرْكبٍ تجيئُها تَدورْ

تحطمُها الصُخورْ
وانكبتا .. نَدنو من المحظورِ ، لنْ يُفلتنا المحظورْ
- هذي إذنْ جبالُ الملح والقصديرْ
وافرحاً .. نَعيشُ في مَشارِفِ المحظورْ
نموتُ بعد أن نذوقَ لحظة الرعبِ المرير والتوقعِ المرير
وبعدَ آلافِ الليالي من زمانِنا الضَريرْ
مَضَتْ ثقيلاتِ الخطى على عصا التَدَبّرِ البَصيرْ
مَلاحُنَا أسلمَ سُؤرَ الروحِ قبلَ أن نُلامِسَ الجبَل
وطارَ قلبُهُ من الوَجَلْ
كان سليمَ الجسمِ، دونَ جرحٍ، دون خدشٍ، دون دم
حين هَوَتْ حِبالُنا بجسمِهِ الضئيلِ نحوَ القاعْ
ولم يعشْ لينتصرْ
ولم يعشْ لينهزمْ
ملاحُ هذا العصرِ سَيّد البحارْ
لأنه يعيشُ دون أن يُريقَ نقطةً من دمْ
لأنه يموتُ قبلَ أن يصارعَ التيّارْ

- ٤ -

هذا زَمنُ الحقّ الضائِع
لا يعرفُ فيه مقتولٌ مَنْ قاتِلُهُ ومتى قتَلَه
ورؤوسُ الناس على جثث الحيوانات
ورؤوسُ الحيواناتِ على جثث الناسْ
فتحسّس رأسك !
فتحسّس رأسك !

أقولـــــــــــلكم

١ ـــ من أنا

سأحكي حِكمتي للناسِ، للأصحابِ، للتاريخِ، إن أذِنت
مسامعه الجليلةُ لي، فإن طابت وإن حسنَت
سيفرحُ قلبيَ المملوءُ بالحبّ، يفيضُ القلبْ
إذا ما أغفَت الكلِماتُ في الأسماع هانئة
منداةً بعطرِ الحبْ
إذا ما صادَفَت كلماتُنا ـ الشعراءَ ـ شعراً في مسامعكم
إذا ما قال قائلكم
وراء الكلِمَةِ المهموسةِ الترجيع قلبٌ عاشْ
وإنسانٌ أحبّ، ووجهُ غانيةٍ، وكأسٌ مرّ
وحفنةُ بُرْ

وَسعيٌ في فجاجِ الأرضِ يا أصحاب

وأعلمُ أنكمْ كرماء
وأنكمُ تحبون القريض وأهلَهُ الشعراءْ
وأنكمُ ستغتفرونَ لي التقصيرَ عن سبقٍ إلى تعبير
وعن تدويرِ ما يمتدّ في الدنيا إلى كلماتْ
وعن بسْطِ الذي يلتف في نفسي إلى كلِماتْ
وعن تنغيمِ هذا الزمنِ الموحِشِ موسيقى
وعن وحشةِ موسيقى السماء بقلبيَ الموحش

وأعلمُ أنكمْ كرماء
وأنكم ستغتفرونَ لي التقصيرَ ... ما كنتَ أبا الطيب
ولم أوهَبْ كهذا الفارسِ العملاقِ أنْ أقتنصَ المعْنى
ولستُ أنا الحكيمَ رهينَ محبسهِ بلا أربِ
لأني لو قعدت بمحبسي لقَضَيْتُ من سَغَبِ
ولستُ أنا الأميرَ يعيش في قصرٍ بحضنِ النيل

يناغيه مُفَنَّيهِ
وملعقةٌ من الذَهَبِ الصريحِ تُطلُّ من فيهِ
ولكني تعذبت لكي أعرفَ معنى الحرفْ
ومعنى الحرفِ إذ يجمعُ جنبَ الحرفْ
ولكني تعذبت لكي أحتالَ للمعنى
لكي أملكَ في حوزتي المعنى مع المبنى
لكيْ اسمعكم صوتي في مجتمع الأصواتْ

وقفتُ أمامكم ورفعتُ كفّي قائلا .. هيا
هنا إنسان ...
يريدُ يديرُ في فَكّيهِ ألفظاً يدحْرِجُها إلى الانسان
لتصنع نقمةً في القلبِ أوْ فرحا
تكونُ مجَنّ من جُرِحا
وسهماً في حشا القامي الذي جَرَحا

وقفتُ أمامكم بالسوقِ يا أهلي ... أنا ابنكمو الذي ...

... من حجرٍ نُقِرا
وأعلى فوقهُ البَنّاءْ
بناءً زاهيَ الطلعهْ
مربعةً جوانبهُ ، ومَطْليّا بماء السَعْد
لكي تأوي له أحلامُكمْ، والدفءُ، والزوجاتُ، والأبناءْ
شفيعي أنتمو للشيخِ ، هذا الأبدِ المرهوبْ
لكي يحفظ في واعية الأيام ...
... إسماً ساذَجاً للغايهْ
بجنبِ الفارسِ العملاقِ ،
والشيخِ الضريرِ ،
وحاملِ الرايه ...

٢ ــ الحب

لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ... ميلادٌ بلا حُسبانْ
لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ، ما باحت به الشفتانْ
بغير أوانْ
لأن الحب قهارٌ كمثلِ الشعرْ
يرفرف في فضاءِ الكونِ ... لا تَعنو لهُ جَبْهَه
وتعنو جبهةُ الإنسانْ
أحدّثكمُ — بدايةَ ما أحدّثكم — عن الحبِ
حديثُ الحبّ يوجِعُني ويُطرِبُني ويُشْجِيني
ولما كانَ خفْقُ الحبّ في قلبي هو النجوى بلا صاحب
حملتُ الحبَ في قلبي ، فأوجَعَني ، فأوجعني

ولما كان خفقُ الحبّ في قلبي هو الشكوى إلى الصاحب
شكوت الحبّ للأصحابِ والدنيا ، فأوجعني
ولما صارَ خفقُ الحبّ في قلبي هو السَلْوى
لأيامٍ بلا طعمٍ ، وأشباحٍ بلا صوره
وأمنيةٍ مجنحةٍ بجوفِ النّفسِ مكسوره
حملتُ الحبّ للمحبوبِ ، ثم دنَوْتُ مِنْ قلبه
وقلتُ له : أتيتكَ ... لا كبيرَ النفسِ ، لا تيّاه
ولا في الكم جوهرةٌ ، ولا في الصدر وُشحْتُ
ولكنّي إنسانٌ فقير الجيبِ والفطنه
ومثل الناسِ أبحث عن طعامي في فجاجِ الارض
وعن كوخٍ وانسانٍ ليستُرَ ما تعريْتُ
وحين أدارَ لي وجهاً شريفَ اللمحِ والصورَه
تغنيتُ ... تغنيتُ :

أغنيةً لقدّ محبوبي
أغنيةً لوجهه الجميل
أغنيةً لشعره الذهبي

أغنيةً لخده الأسيل
لكنني لستُ بموهوبٍ
أنا فتى لا يعرف القليلْ
أنا فتى لا يملك القليلْ
وقالتْ لي : لوجهيَ والهوى يا شاعري غنيتْ
فغنِّ الآن أغنيةً لقلبكَ أنتْ
أسندتُ عودي إلى الضلوعْ
ورحت استقطرُ النغمْ
فأنَّ عودي على الضلوع
وغمغم الصوتُ ، وانبَهَم
لَحْنِيَ ، فلتسعفْ الدموع

وضعتُ العود ، ثم صنعت بالكلمات ألحانا
بريئاتٍ كما في القلْب ...
وقلت لها بأن الحب ما يصنعُ بالانسان انسانا
وأن الحبْ ...

عندما يصبح إنسان حقيقهْ
عندما يبحث في ظل العيون السود عن عين صديقهْ
ويراها ...
عندما يحلم بالبيتِ ، وبالدفء على مخدعِ نظرهْ
ويواري خَوْفَهُ في متكاها
عندما يحلمُ بالأطفالِ والنزهة في إصباحِ جمعهْ
عندما تمزَجُ في عينيه أشواقٌ ودَمْعَه
عندما يُشْرِعُ إنسانٌ لإنسانٍ جناحَهْ
ويناغيه دلالاً وسماحه
عندما يصبح ما مرّ من الأيام محوا
لم يكن حيناً حياةَ القلبْ
عندما يصبحُ كل اللفظ لغوا
غير لفظ الحبْ ....

وغمغم الصوت وانبهم
لحنيَ ، فلتسعف الدموع

وأغضَتْ ،
ثم قالتْ لي ،
لقد طابَتْ بكَ الأيامُ ، مرحى بِكْ
عرفتُ الآنَ أنـّكَ لي ،
وأنـّي لكْ

٣ ـ الحرية والموت

روَوا يا صحبتي الأحرارَ فيما حدثوا من قالْ
بأن الطفلَ يولد مثلَ نسْمِ الريحْ
وحين يَدِبُ فوقَ الارضِ تُثْقِلُ ساقَه الأغلالْ
يقيدهُ إلى الدنيا ترابٌ شمّه الاجداد
وغطّوا أنفَهُمْ فيه ...
ويملك من فضاء الارض ما تمتدّ ساقاهُ
وما تُمسك يمناهُ
ويجْهَدُ ، ثم لا يَستطيع أن يختارَ ماضيهْ

ولكني أقول لكم بأن القيدَ حريـــهْ

وأن الدَسْم مأسورٌ – ولا يدري – بإطلاقه
وأن الحرّ من يمشي ثقيلاً فوق ظهرِ الأرضْ
ويحفر بطن ساقيه على وجـه الثرى الجدبِ
وينهض رغم ما ينداح في الأعراق والقلب
من الأحزان والأشواق والآمـــال والحبِ
وقيل لكم :
بأن حياتكم جسرٌ ، وأن بقاءكمْ مسطورْ
خطى تخطى بميقاتٍ إلى دارٍ ببابينِ
نطوف بها كومضِ شعاعةِ العينِ
وأن العاقل المبرورَ من يحيا بلا زادِ
ليجمع زاد رِحلتهِ
لأن وراءَ هذي الدارِ فيما قد رواه الناسْ
شطوطاً طامياتٍ موجُها دَيجورْ
ولولا سيفُ نورٍ شقّ ظلمْاها
وملاحٌ على مركب
يقول لمن أحَثّ الخَطْوَ في دهليزها ...

اركبْ !
ولولا ومضُ مِصباحٍ يَلوح لمقلةِ الملاحْ
لضلّ الركبُ في التيهِ سنين مِئين

أقول لكم بأن الزيفَ قد يقتاتُ بالفِطنه
وسقطُ القولِ قد يَعلو بأجنحةٍ من الترْديدْ
أقول لكم بأن الكونَ ما كانا
وما ندري بأنْ سيَكونْ
وأن الليلَ والصبحَ قصارانا
ورحلةُ شطّ دنيانا
وأوجزُ كي أحدّثكمْ
عن الموتى ... بَقايانا

● قضى ! قضى !
وعن ديارنا مَضى
لو عاشَ كانَ سيّدا
يحمي الِحمى المسوّدا

لكنه انتفَضا

ذاتَ مساءٍ مُظلم ، وصَعَّدا

أنفاسَهُ وقضْقَضا

وانشرَخَتْ قارورةٌ طِلَسْمُها ما رُصِدا

وعن سرير أمِهِ وأختِهِ صَعَدا

إلى السّما رَكضا

وأنتِ يا أمُ تنوحينَ سُدى ...

● قضت ! قضت !

وعن ديارنا مضت

من بعد ما تكوّرَ النهدُ

وبرعمتْ عليه وردةٌ ، وسالَ شَهْدُ

وازدحم الوفدْ من الخطابِ والأحبابِ في رحابِ...

دارها ، وحين طارَ نعيُها استدارْ

خطابُها وأهلها إلى الجدارْ

لينحِروا من الصّخورِ مَرْكبا

يَمْخُرُ بالشّهْدِ وبالوردِ وبالصِّبا

من بعدِ أنْ صارتْ ... هَبا
مربعاتٍ مستطيلاتٍ من الصبا ...

● قضى ! قضى !
وعن ديارنا مضى
من بعد ما اقتنى وشيّدا
وخالَ أن يخلّدا
لم تبقَ منه غيرُ صورةٍ على الجدار
وغصن صبّارٍ على الحجارْ
وقالَ قائلٌ فصيحٌ فوقَ قبرِهِ ...
ودمعُهُ مدْرارْ
كان هِلالاً ومضا
ثم قُمَيْراً صَعَدا
وصارَ بَدْراً في السما توَسَّطا
ثم هوى في أخرياتِ العمرِ ، في الأسحارْ
إلى عروقِ السماءِ رَكْضا
وأنتمُ يا صبيةَ الراحلِ تبكونَ سُدى

وقفتُ أمامَكم بالسوقِ كيْ أحيا ، وأحييكُمْ
لا أبكي ، وأبْكيَكُم
وما غنيتُ بالموتى لأصنَعَ من جَماجِمِهم
عمامةَ وَعظْ

فلو عاشَ الذي ماتا
فأين يعيشُ من وُلِدا ؟
أقول لكم بأن الموتَ مقدورٌ ، وذلك حقْ
ولكن ليسَ هــذا الموت حتفَ الأنفْ
تعالوا خيِّروا الأجْيالَ أن تختارَ ما تصنَعْ
لكي توسعْ
لمن يتبعْ
فلن تختارَ غيرَ الموت
وهل من ماتَ لم يترك له رسماً على الجدرانْ
وخطاً فوق ديباجهْ
وذكرى في حنايا قلبْ
وحفنة طينةٍ خصبهْ

على وجه الفضاءِ الجدبْ
وما الانسانُ — إن عاشَ ...
وإن ماتَ —
... وما الانسانْ ؟

٤ ـ «الكلمات»

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبي من الديباجْ
ولم أتقلَّدْ الشاراتِ ، أو ألتفَّ بالأدراجْ
ولم تَعتمَّ مثلَ البرجِ فوقَ التلِ جُمجمتي
ولم أمسكْ بكفي صولجانَ الحكمِ والمِقوَدْ
وما السوقُ ببيتِ أبي ولا المَعبَدْ
حديثي محضُ ألفاظٍ ، ولا أملكُ إلّاها
أرقرقها لكُمْ نغماً ، أجمّلُها أفانينا
أرقّشها تلاوينا
وللألفاظِ سلطانٌ على الانسانْ
ألم يرووا لكمْ في السِفرِ أن البدءَ يوماً كان ...

— جلّ جلالها — الكلمهْ

ألم يرووا لكمْ في السِفْرِ أنَّ الحقّ قوّالُ
ولكني أقولُ لكمْ بأن الحقّ فعّالُ
أقولُ لَكُمْ :

بأن الفِعلَ والقَولَ جناحانِ عَلِيّانِ
وأن القلبَ إن غَمْغَمْ
وأن الحلْقَ إن هَمْهَمْ
وأن الريحَ إن نقَلَتْ
فقد فعَلَتْ ، فقد فعَلَتْ !!
كتائبُ فوق طوقِ الحصر مسرجةٌ على الأفراس طوّافهْ
وطوقُ لجامها الكلماتْ

٥ ـــ « القديس »

إليّ ، إليّ ، يا غرباءُ ، يا فقراءُ ، يا مرضى
كسيري القلبِ والأعضاءِ ، قد أنزلتُ مائدتي
إليّ ، إليّ ،
لنَطْعَمَ كِسْرَةً من حكمةِ الأجيالِ مَغموسَهْ
بطيشِ زمانِنا المِمْراحْ
نُكسّرُ ، ثم نَشكُرُ قلبَنا الهادي
ليرسينا على شطّ اليَقينِ ، فقد أضلَّ العقل مَسرانا
إليّ ، إليّ
أنا ، طوّفتُ في الأوراقِ سواحاً ، شَبا قلمي
حِصاني ، بعد أن حملتْ بيَ الأوهامُ والغفلهْ

سنينَ طوالَ ، في بطنِ اللجاجِ ، وظلمةِ المنْطِق
وكنتُ إذا أجنّ الليلُ ، واستخفى الشّجيّونا
وحَنّ الصدْرُ للمِرفقْ
وداعبَت الخيالاتُ الخليينا
ألوذُ بركنِيَ العاري ، بجنبِ فتيلِيَ المُرْهَقْ
وأبعثُ من قبورِهِم عِظاماً نَخْرَةً ورؤوسْ
لتجلسَ قربَ مائدتي ، تبُثّ حديثَها الصيّاحَ والمهموسْ
وإنْ مَلّتْ ، وطالَ الصمتُ ، لا تسْعى بها أقدامْ
وإنْ نُشِرَتْ سِهامُ الفَجْرِ ، تستَخْفي كما الأوهامْ

وقالتْ لي :

بأنّ النَهْرَ ليسَ النهرَ ، والإنسانَ لا الانسانْ
وأن حفيف هذا النجم موسيقى
وأن حقيقةَ الدنيا ثوَتْ في كهْف
وأن حقيقةَ الدنيا هي الفَلْسان فوقَ الكفّ
وأن الله قد خلق الأنامَ ، ونامْ
وأن الله في مِفتاحِ بابِ البيتْ

ولا تسألْ غريقاً كـُبَّ في َبحرٍ على َوجْهِهْ
لينفخَ بَطـْنُـهُ ُعشْباً وأصدافاً وأمواها
كذلك كنتْ

وذاتَ صباحْ
رأيتُ حقيقةَ الدنيا
سمعتُ النجمَ والأمواهَ والأزهارَ موسيقى
رأيتُ الله في قلبي

لأني حينما استيقظتُ ذاتَ صباح
رميتُ الكتْبَ للنيرانِ ، ثم فتحتُ ُشباكي
وفي َنفَسِ الضُحى الفواح
خرجتُ لأنظر الماشين في الطُرقات ، والساعين للأرْزاقْ
وفي ظلِّ الحدائِقِ أبْصَرَتْ عيناي أسراباً من العُشّاقْ
وفي َلحْظهْ
شعرتُ بجسميَ المحمومِ َينـْبِضُ ِمثلَ َقلبِ الشمسْ
شعرتُ بأنني امتلأتْ ِشعابُ القلبِ بالحِكمَهْ

شعرتُ بأنني أصبحتُ قِديساً
وأن رسالتي ...
هيَ أن أقدّسكمْ

٦ ـ « السوق والسوقة »

هنا في السوق ، يا أصحابُ ،
يحيا الحبّ والتَذْكارْ

وتولدُ في ظلامَ عِظامِنا ...
النزعاتُ والأفكارْ

وتمتدّ الرقابُ ... تَرى ...
وتومِضُ في الزحامِ عُيونْ
وتعتنقُ الجفونَ جُفونْ
ونحن، وإن غَشِينا السوقَ وامتزجتْ روائحُنا بريح الأرض

فلما التَفّتْ عليهِ ثيابُنا طُهْرٌ وأقداس
وأعرفُ بَعْضَهم يُضْنيهِ أن يَغْشى زِحامَ السوق
ولكنْ هُمْ ... من السوقَهْ

٧ ــ « موت الانسان »

ألا ما أشرفَ الإنسانِ حين يُحسّ ثِقلَ التاجِ في رأسهْ
وحينَ يحس أن الشَمْسَ في فَوْديهِ لؤلؤتان
وحفنةُ أنجمٍ نُـثِرَتْ على تِرْسِهْ
وأنّ عليه ثوبَ الملكِ سِرْبالا
وأنّ الله أوْرَثَهُ بساطَ الأرضْ
يَشم شَذى خَفيفِ النَسْمِ أمْيالاً وأميالا
ويعتنِقَ الوجودَ بِحبٍّ مَلاّكٍ لما مَلكا

ألا ما أشرفَ الإنسانَ حين يَشُم في الإنسان
ريحَ الودّ والألفه

ألا ما أشرف الانسان حين يرى بعيني إلفهِ الانسان
ما يخفي من اللهْفَه
إلى إنسان
ألا ما أتعسَ الانسان حين يموت في أعماقِهِ الإنسان
ألا ما أجملَ الانسانَ حين يجوسُ في أرضه
يُقلِّبُ جدْبَها في الخِصْبِ جذْلانا
وحين يَشُقُّ بالمحراثِ مَمْلكتَه
أخاديداً ووديانا

٨ ــ « اجافيكم لأعرفكم »

أنا شاعر ....
ولكن لي بِظَهْرِ السوقِ أصحابٌ أخِلاّءُ
وأسمرُ بينهم بالليلِ أسْقيهم ويسقوني
تطولُ بنا أحاديثُ الندامى حين يَلْقوني
على أني سأرْجعُ في ظَلامِ الليل حين يُفضّ سامرُكم
وحين يَغورُ نجمُ الشرقِ في بَيتِ السما الأزرقْ
إلى بيتي
لأرقدَ في سماواتي
وحيداً ... في سماواتي
وأحلُمَ بالرجوعِ اليكمُ طلقاً وممتلئاً

بأنغامي ... وأبْياتي

أجافِيكمْ ... لأعرفكم

أحلام الفارس القديم

أحلام الفارس القديم

مفتتحُ

معذرةً يا صحبتي ، لم تثمر الأشجارُ هذا العامْ
فجئتكم بأردإ الطعامْ
ولست باخلاً ، وإنما فقيرةٌ خزائني
مقفرةٌ حقولُ حِنطتي ...

* * *

معذرةً يا صحبتي ، فالضوءُ خافتٌ شحيح
والشمعةُ الوحيدةُ التي وجدتها بجيبِ معطفي
أشعلتُها لكم ...
لكنها قديمةٌ معروفةٌ لهيبُها دموعْ

معذرةً يا صحبتي ، قلبي حزينْ
من أين آتي بالكلامِ الفرِحْ

من أناشيد القرار

الى ن. ي.

اغنية للشتاء

يُنبئني شتاءُ هذا العامِ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثلَه ، ذاتَ شتاءْ
يُنبئني هذا المساءُ أنني أموت وحدي
ذاتَ مساءٍ مثلَهُ ، ذاتَ مساءْ
وأن أعوامي التي مضت كانت هباءْ
وأنني أقيمُ في العَرَاءْ
يُنبئني شتاءُ هذا العامِ أن داخلي ...
مرتجفٌ برداً
وأن قلبي ميتٌ منذ الخريف ...
قد ذوى حين ذوتْ

أول أوراق الشجر
ثم هوى حين هوت
أولُ قطرةٍ من المطرْ

وأن كل ليلةٍ باردةٍ تزيدهُ بُعدا
في باطِنِ الحجرْ
وأن دفءَ الصيفِ إنْ أتى ليوقظَه
فلن يمدَّ من خلالِ الثلجِ أذرعهْ
حاملةً وردا

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن هيكلي مريض
وأن أنفاسيَ شوكُ
وأن كل خطوةٍ في وسْطِها مغامره
وقد أموتُ قبلَ أن تلحقَ رجلٌ رجلا
في زحمةِ المدينةِ المنهمره
أموتُ لا يعرفُني أحدْ
أموتُ ... لا يبكي أحدْ
وقد يُقالُ ، بينَ صحبيَ ، في مجامِعِ المسامره

مجلِسُهُ كان هنا ، وقد عَبرْ
فيمَنْ عبر ...
يَرْحمُهُ الله ...

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن ما ظننتُهُ ...
شفايَ كان سمّي
وأن هذا الشِعرَ حين هزّني أسقطني
ولست أدري منذُ كم من السنينِ قد جُرِحت
لكنني من يومها ينزفُ رأسي
الشعرُ زلّتي التي من أجلِها هَدَمْتُ ما بَنَيْت
من أجلها خرجتْ
من أجلها صُلبْتْ
وحينما عُلّقتُ كان البردُ والظلمةُ والرعدُ
ترُجُّني خوفا

وحينما ناديته ، لم يَستجبْ
عرفتُ أنني ضيعتُ ما أضعْتْ
ينبئني شتاء هذا العام أننا لكي نعيشَ في الشتاء

لا بدّ أن نَخزِنَ من حرارةِ الصيفِ وذكرياتهِ ..
دِفئا
لكنني بعثرتُ كالسفيه في مطالعِ الخريفِ
كل غِلالي ، كل حنطتي وحَبّي
كان جزائي أن يقولَ لي الشتاءُ أنني :
ذاتَ شتاءٍ مثلَهُ ...
أموتُ وحدي
ذات شتاء مثلَهُ ، أموتُ وحدي

أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لقاكِ يا مدينتي حجتي ومبكايا
لقاكِ يا مدينتي اسايا
وحين رأيتُ من خلال ظلمةِ المطار
نوركِ يا مدينتي عرفتُ أنني غللتْ
إلى الشوارع المسفلتَه
إلى الميادين التي تموتُ في وقدتها
خضرةُ أيامي ..
وأنّ ما قدّرَ لي يا جرحيَ النامي

لقاكِ كلما اغتربتُ عنْك
بروحيَ الظامي
وأن يكونَ ما وهبْتِ أو قدّرْتِ للفؤادِ من عذابْ
يُنبوعَ إلهامي
وأن أذوبَ آخرَ الزمانِ فيك
وان يضمّ النيلُ والجزائرُ التي تشُقه ....
والزيتُ والأوشابُ والحجرْ
عظامي المفتّته
على الشوارعِ المسفلته
على ذرى الأحياءِ والسِكك
حين يَلم شملها تابوتيَ المنحوتُ من جميزِ مصرْ
لقاك يا مدينتي يخلعُ قلبي ضاغطاً ثقيلا
كأنه الشهوةُ والرهبةُ والجوعُ
لقاك يا مدينتي ينفُضُني
لقاك يا مدينتي دموعُ
أهواكِ يا مدينتي الهوى الذي يَشرُقُ بالبكاءْ

إذا ارتوت برؤيةِ المحبوبِ عيناهُ
أهواك يا مدينتي الهوى الذي يسامحْ
لأن صوتهُ الحبيسَ لا يقولُ غير كلمتين ...
إن أراد أن يُصارحْ
أهواكِ يا مدينتي .....
أهواك رغم انني أُنكرتُ في رحابك
وأن طيريَ الأليفَ طارَ عني
وأنني أعودُ ، لا مأوى ، ولا مُلتجأ
أعود كي أشردَ في أبوابك
أعود كي أشربَ من عذابك ...

اغنية لليل

الليل ُسكرنا وكأسنا
ألفاظنا التي ُتدارُ فيه ُنقلُنا وبَقلُنا
الله لا يحرمني الليلَ ولا مرارتَه
وإن أتاني الموتُ ، فلأمتْ محدثاً أو سامعا
أو فلأمتْ ، أصابعي في شعرِها الجعدِ الثقيلِ الرائحه
في ركنيَ الليليّ ، في المقهى الذي تضيئُهُ مصابحٌ حزينه
حزينةٌ كحزن عينيها اللتين تخشيانِ النورَ في النهار
عينانِ سوداوانْ
نضاحتانِ بالجلالِ المُرّ والأحزانْ
مرّتْ عليهما تصاريفُ الزمانْ

فشالتنا من كل يومٍ أسودٍ ظلاً ...

عينانِ سِرْدابانْ
عميقتانِ موتا
غريقتان صمتا
فإن تكلمتا
تنَدّتا تعاسةً ولوعةً ومَقْتا
ينكشف السردابُ حينما تدُقُّ الساعةُ البطيئة الخطى
معلنةً أن المسا قدْ انكشفْ
تقولُ لي العينانْ :
« يا عاهري المتوج الفَوْدَين بالحديد والحصى »
« يا ملكي الغريب الاسمِ المزيف السِماتْ »
« أحببتُ فيكَ رؤيةً رأيتُها منذُ الصغر »
« وكان يُشبهك »
« وليسَ أنتَ ... ليسَ أنتْ ! »

« كان فتى حُلمي جميلاً ، لا مُزوّقا »
« مُثقفاً ، لا ذَرِبَ اللسانْ »
« محتشماً ، نبالةً في الطبْعِ ، لا خَوْفا »
« وعاطفاً ، لا عاطفيّا »
« يا عاهري ،

يا خُدْعتي ،
يا قَدَري » !
« في الساعةِ الليليلةِ الأخيرهْ »
« خذني إلى البيتِ ، فإنني أخاف أن يَبلّني الندى »
« تذوبُ أصباغي
ويبدو قبحُ وجهي »
وتصمتُ العينانِ ، ترجمانْ
عميقتانِ صمتا
غريقتانِ مَوْتا
الليل ثوْبُنا ، خِباؤنا
رُتبتُنا ، شارَتُنا ، التي بها يعرفُنا أصْحابُنا

« لا يعرفُ الليل سوى من فَقدَ النهارْ »
هذا شِعارُنا
لا تبكنا ، يا أيها المستمعُ السعيدْ
فنحنُ مَزْهوونَ بانهزامِنا

أغنية الى الله

— ١ —

لينتثرْ فتاتُ لحمنا على جناحِ عيشنا الغريبْ
ولنتغرّبْ في قِفارِ العُمْرِ والسُهُوب
ولننكسرْ في كل يومٍ مرتينْ
فمرةً حينَ نُقابلُ الضياءْ
ومرةً حين تذوبُ الشمسُ في الغروبْ
فقد أرَدْنا أن نرى أوسعَ من أحداقِنا
وأن نطولَ باليد القصيرةِ المجذوذةِ الأصابع
سماءَ أمنيّاتِنا
الله يا وِحْدتي المغلقةَ الأبوابْ

الله لو منحتني الصفاءْ
الله لو جلستُ في ظلالكِ الوارفةِ اللّفاءْ
أجدلُ حبلَ الخوفِ والسأمْ
طولَ نهاري
أشنُقُ فيه العالَمَ الذي تركتُه ورا جداري
ثم أنامُ غارقاً ، فلا يغوصُ لي ...
حلُمْ ....

- ٢ -

حين تصيرُ الرغباتُ أمنياتْ
لأنها بعيدةُ المطالِ في السَما
ثم تصيرُ الأمنياتُ وَهْما
لأنها تقنّعت بالغيمِ والضبابْ
وهاجرَتْ مع السحابْ
واستوطنَتْ أعاليَ الهضابْ
ثم يصيرُ الوهمُ أحلاما

لأنه ماتَ ، فلا يطرقُ سورَ النفسِ إلا حين يُظلمُ المساءْ
كأنه أشباحُ ميتين منْ أحبابنا
ثم يصيرُ الحلمُ يأساً قاتماً وعارضاً ثقيلا
أهدابُنا ...
أثقلُ منْ أنْ ترى ...
وإن رأت فما يرى العِميانْ ؟
أقدامُنا ...
أثقلُ من أن تنقلَ الخطى ...
وإن خطتْ تشابكتْ ، ثم سقطنا هُزْأةً كبهلوانْ
نصرخُ ، يا ربّنا العظيمَ ، يا إلهنا
أليسَ يكفي أننا موتى بلا أكفانْ
حتى تُذلّ زَهْونا وكِبْرياءَنا ؟

– ٣ –

حزني ثقيلٌ فادحٌ هذا المساءْ
كأنهُ عذابُ مُصْفَدينَ في السعير

حزني غريبُ الأَبوينِ
لأنه تكوَّنَ ابنَ لحظةٍ مفاجئهْ
ما َتخَضَتْهُ بَطنْ
أراهُ فجأةً إذا يمتد وَسْطَ ضِحْكتي
مُكتملَ الخِلقةِ ، موفورَ البَدَنْ
كأنه استيقظَ من تحتِ الركامْ
بعدَ سُباتٍ في الدُهورْ

- ٤ -

لقد بلوتُ الحزنَ حينَ يزْحَمُ الهواءَ كالدُخانْ
فيوقظُ الحنينَ ، هلْ نرى صحابَنا المسافِرينْ
أحبابنا المهاجرينْ
وهل يعودُ يومُنا الذي مضى من رحلةِ الزمان ؟
ثم بلوتُ الحزنَ حينَ يلتوي كأفعوانْ
فيعصِرُ الفؤادَ ثم يَخنقُهْ
وبعدَ لحظةٍ من الإسارِ يُعتِقُهْ

ثم بلوتُ الحزنَ حينما يفيضُ جدولاً من اللهيبْ
نملأُ منه كأسَنَا ، ونحنُ نمضي في حدائِقِ التَذَكراتْ
ثم يمرُّ ليلُنا الكئيبْ
ويشرقُ النهارُ باعثاً من المماتْ
جذورَ فرْحِنا الجديبْ
لكنّ هذا الحزنَ مِسْخٌ غامضٌ ، مستوحشٌ ، غريبْ
فقلْ لهُ يا ربُ ، أنْ يفارقَ الديارَ
لأنني أريدُ أن أعيشَ في النهارْ

– ٥ –

يا ربّنَا العظيمَ ، يا مُعذّبي
يا ناسجَ الأحلامِ في العيُونْ
يا زارعَ اليقينِ والظنونْ
يا مرسلَ الآلامِ والأفراحِ والشجُون
اخترتَ لي ،
لَشَدّ ما أوْجَعْتَني

ألم أخلصْ بعدُ ،
أم تُرى نسيتَني ؟
الويلُ لي ، نسيتَني
نسيتني
نسيتني ...

الكراسة الثانية

أغنيات تائهة

اغنية من فيينا

كانت تنامُ في سريري ، والصّباحْ
منسكبٌ كأنه وِشاحْ
من رأسها لردْفِها
وقطرةٌ من مَطَرِ الخريفْ
ترقدُ في ظِلالِ جَفْنِها
والنَفَسُ المستعجلُ الخفيفْ
يَشهَقُ في حَلْمَتِها
وقفتُ قربها ، أحُسّها ، أرقُبُها ، أشمُّها
النَبَضُ نَبْض وَثَني
والروحُ روحُ صوفيٍ ، سليب البَدَنِ

أقولُ ، يا نفسي ، رآكِ اللهُ عطشى حين بلّ غربتكْ
جائعةً فقوّتكْ
تائهةً فمدّ خيطَ نجمةٍ يُضيءُ لكْ

يا جسمها الأبيضَ قلْ : أأنتَ صوتْ ؟
فقد تحاوَرْنا كثيراً في المسَاءْ
يا جسمها الأبيض قلْ : أأنت خضرةٌ منوّرَهْ ؟
يا كم تجولتُ سعيداً في حدائِقكْ
يا جسمها الأبيض قلْ : أأنتَ خمرهْ ؟
فقد نهلتُ من حوافِ مَرْمركْ
سقايتي من المُدامِ والحبابِ والزَبَدْ
يا جسمها الأبيضَ مثلَ خاطرِ الملائكهْ
تباركَ اللهُ الذي قد أبدعَكْ
وأحمدُ اللهَ الذي ذاتَ مساءْ
على جفوني وضعك
لما رأينا الشمسَ في مفارق الطرق
مدّتْ ذراعَيها الجميلتينْ

مدت ذراعيها المخيفتين
ونَقرَت أصابعَ المدينةِ المدببه
على زجاجِ عشِّنا ، كأنها تدفعُنا
نذهبُ ، أين ؟
تشابكت أكفنا ، واعتنقت
أصابع اليدين
تعانقت شفاهُنا ، وافترقت
في قبلةٍ بليلةٍ منهومه
تفرّقت خطواتُنا ، وانكفأت
على السلالمِ القديمه

ثم نزلنا للطريقِ واجمَيْن
لما دخلنا في مواكبِ البَشَر
المسرعين الخطوَ نحو الخبزِ والمئونه
المسرعين الخطوَ نحو الموت
في جبهةِ الطريقِ ، انفلتت ذراعُها
في نصفِهِ ، تباعَدَت ، فرّقنا مستعجلٌ يشدُّ طِفلته

في آخرِ الطريقِ ُتقـْتُ – ما استطعتُ – لو رأيْتْ
ما لونُ عينيها
وحينَ شارَفنا ذرى الميدان ، غمغمَتْ بدونِ صوتْ
كأنها تسألـُني .. من أنتْ ؟

الصمت والجناح

الصمتُ راكدٌ ركود ريحٍ ميتَه
حتى جنادبُ الحقولِ ساكتَه
وقبةُ السماءِ باهتَه
والأفقُ أسودٌ وضيقٌ بلا أبواب
منكفيءٌ من حيثُما التفتُّ كالسرداب
ونحن ممدودانِ في ظلالِ حائطٍ قديم
مفترشانِ ظلَّنا
ملتحفانِ بالعَذاب

وفجأةً أورقَ في حقلِ السَما نجمٌ وحيد

ورفّ في الصَمْتِ البليدِ ريشُ طائرٍ فريدْ
هَمَسْتُ ، يا صديقتي ، توجّهي لِرَبّنا
وناشدِيه ، أن يَبُثّ في ظِلالنا
رَفرَفَةَ الحياةِ من جديدْ ..

الحب في هذا الزمان

تسألُني رفيقتي : ما آخرُ الطريقْ
وهل عرفتُ أوّلَهْ
نحنُ دمىً شاخصةٌ
فوقَ ستارٍ مُسْدَلَهْ
خطىً تشابكتْ بلا ..
قصدٍ ، على دربٍ قصيرٍ ضيقِ
اللهُ وحدَهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرّقِ
يعلمُ هل تُدْركُنا السعادَهْ
أم الشقاءُ والنَدَمْ ؟
وكيف توضعُ النهايةُ المعادَهْ

الموتُ ... أو نوازِعُ السأمْ ؟
يعلمُ ، حين نلتقي بعد سنين أو شهورْ
هل سيكونُ في العيونِ وَجْدُها
هل سيكونُ في العيون حقدُها
أم نلتقي كالأصدقاءِ القدماءْ
يسلّمونَ في فتورْ ...
يُوَدعونَ في فتورْ ...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كانْ
في أوّل الزمانْ
يخضعُ للترتيبِ والحُسبانْ
« نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ
فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ »
اليومَ .. يا عَجائبَ الزمانْ !
قد يَلتقي في الحبّ عاشقانْ
من قبل أن يبتسما

ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقتي
ذقنا الذي ذقناهْ
من قبلِ أن نشتهيهْ
ورغم عِلمِنَا
بأن ما ننسجهُ مُلاءةً لِفرْشِنا
تنقضُهُ أنامِلُ الصباحْ
وأن ما نهمِسُهُ ، نُنعشَ أعصابَنا
يقتُلهُ البُواحْ
فقَدْ نسجْنَاهُ
وقد همَسْنَاهُ

الحبُ في هذا الزمانِ يا رفيقتي ....
كالحزنِ ، لا يعيشُ إلا لحظةَ البُكاءْ
أو لحظةَ الشبَقْ
الحب بالفطانةِ اختنقْ
إذا افترقنا ، يا رفيقتي ، فلنلقِ كلّ اللومْ

على زَمانِنا
ولننفض الأيدي في التَذكارِ والنَدَمْ
ولنَمْسَحِ الظلالَ عنْ عُيونِنا
ولنبتسمْ في ثقةٍ ، بأنّ ما حَدَثْ
كان إرادةَ القَدَرْ
وأن آمراً أمَرْ
وأننا قد استجبنا للذي نُحسُّهُ
حينَ قتَلْنا حِسّنا
وأن ما مضى
أهونُ من أن نحمله كأمسِنا
من أن يمدّ ظِلَهُ البغيضْ
على شبابنَا
ولننطلقْ مغامرين ضائعَينِ في البحار العَكِرَه
نمد جسْمَنا الجديبَ ، والضلوع المقفرهْ
في الغرفِ الجديدة المؤجرَهْ
بين صدورٍ أُخَرٍ مُعتصِرَهْ

رسالة الى سيدة طيبة

في يومٍ كانتْ وَرْدَه
تغفو في كُمِّ الليلْ
الشمسُ رَعَتْها
حتى دَبّتْ فيها الروح
والشمسُ ،
الشمسُ أماتَتْها
وقداً وتباريح
في يوم حلّقَ طائِر
ألقاهُ الحظُ العاثِرْ
في حبِّ الآفاقِ الممْتدّهْ

فمضى يَصّاعَدُ منطلقا
هبّتْ ريحٌ ألقته للسفحْ
وهوى في جوفِ الآفاقِ الممتدهْ
ورعاهُ السفحُ ، فلمّ عِظامَهْ
حتى دبّتْ فيهْ الروحْ
لكنْ ، هلْ يأمن حضنَ الريحْ
طيرٌ مقصوصُ الريشِ جريحْ
حتى .. والريحُ رَخيّهْ
في ليلةِ صيفْ
وقّع أحدُ الشعراءِ البُسَطاءْ
أنغاماً ساذجةً خضراءْ
ليناجي قلبَ الإلفْ
لكن كفّا مَعْشوقتِهِ قد مزقتا أوتارهْ
صارتْ أنغامُ الشاعرِ خرْساءْ
فإذا نَطَقَتْ كانت سوداويهْ

يا سيدتي ، عُذْرا ....
فأنا أتكلمُ بالأمثالِ لأن الألفاظَ العُرْيانَه
هي أقسى من أن تلْقِيها شَفتانْ
لكنّ الأمثالَ الملتفَّةَ في الأسمالْ
كشفتْ جسدَ الواقِعْ
وبَدَتْ كالصِدْقِ العُرْيانْ

أشقى ما مَرَّ بقلْبي أن الأيامَ الجَهْمَه
جعلتهُ يا سيدتي قلباً جَهْما
سلبتهُ موهبةَ الحُبْ
وأنا لا أعرفُ كيفَ أحبكْ
وبأضلاعي ، هذا القلبْ ...

حكاية قديمة

كان له أصحابْ
وعاهدوهُ في مساءِ حزْنِهْ ...
ألَّا يسلّموه للجنودْ
أو ينكروهُ عِنْدما
يطلبه السلطانْ
فواحدٌ أسلمَهُ لقاءَ حِفنةٍ من النقود
ثم انتحرْ
وآخرٌ أنكرهُ ثلاثةً قبل انبلاج الفجرْ
وبعد أن ماتَ اطمأنتْ شفتاهْ
ثم مشى مكرّزاً مفاخِراً بأنه رآهْ

وباسمه صاد مبارِكاً مُعمَّدا

والآنَ يا أصحابْ
أسألكم سؤالَ حائرْ
أيهُما أحبَّهُ ؟ ...
من خسِرَ الروحَ فأرْخَصَ الحياهْ
أم من بَنَى لهُ مَعَابداً ،
وشادَ باسمِهِ مَنَائِرْ
قامتْ على حياهْ
نجتْ لأنها تنكرتْ

والآنَ يا أصحابْ
أيهما أحبّهُ ؟
أيهما أحبّ نفسَهُ ؟
أيهما أحَبّنَا ؟

لوركا

لوركا ...
نافورةُ ميدانْ
ظلٌ ومقيلٌ للأطفالِ الفقراء
لوركا اغنياتٌ غجريهْ
لوركا شمس ذهبيهْ
لوركا ليل صيفيٌ مُنعِمْ
لوركا أنثى مُتيِّمْ
لوركا سوسنةٌ بيضاءْ
مَسَحَتْ خدّيها في الماءْ
لوركا أجراسُ قبابْ

سَكَنَتْ في جَوْفِ ضَبابْ
قربَ النجمِ المُفْرَدْ
آناً تشدو ، آناً تتنهدْ
لوركا سَعَفُ العيدِ الأخضرْ
لوركا حلوى سُكَّرْ
لوركا قلبٌ مملوءٌ بالنورِ الرائقْ
وضلوعٌ شفّافهْ
لوركا صدرٌ عريانٌ من زَبَدٍ ودُخَان
عَلَمٌ للشجْعَانْ
لوركا حلوٌ كجَنى النحلِ الشَبْعانْ
مرٌ كمياهِ البحرِ الحُلْوهْ
وكمَوْجتها هيمانْ ...

في ليلةِ صيفٍ راكدةِ الريحْ
صار الشاعرُ أسطورهْ
قتلتهُ الخفراءُ الحقراءْ

قتلته الخفراءُ الحقراء
وتكوّم جُرحاً فوقَ التلْ
شرِقَتْ جمجمةٌ منخورهْ
بدما قلبٍ مُعتَلْ
والجسمُ الخشبيْ ،
والقبعةُ المطْمُورَهْ
صِدَئا في الطّلْ
أما الكلماتُ الحلوةُ والممرورهْ
فقد انسابَتْ جدْوَلْ
يمضي حيثُ سقطتَ ، وعضّ الترابَ فمُكْ
حتى يُغفي في حِضْنِ اللهِ الغاضِبْ
يَرْجوهُ أن يَعفو عن خُفراءٍ بلَداءْ
قتلوا آخرَ أبناءِ الرّب

بودلير

أنتَ لمّا عشقتَ الرحيل
لم تجد موطنا
يا حبيبَ الفضاءِ الذي لم تجسْهُ قدمْ
يا عشيقَ البحار ، وخِدْن القِمَمْ
يا أسيرَ الفؤادِ الملول
وغريب المنى
يا صديقي أنا

Hypocrite lecteur
Mon semblable, mon frére

شاعرٌ أنتَ والكونُ نثرْ

والنفاقُ ارتدى أجنحَه
وتزيّا بزي ملاكٍ جميل
والطريقُ طويلْ
والتّغني اجتراءٌ على كشْفِ سِرْ

في عيونِ النساءْ
طفتَ ، لمّا تجِدْ
في السماءِ التي أطرَقَتْ مُعْجَبَه
فوقَ بحرٍ سجا كالزجاجِ الرهيفْ
لم تجدْ .. لم تجدْ
في الدخان الذي ينعقِدْ
ثم يهوي أمامَ العيونِ كثوبٍ شفيف
لم تجدْ .. لم تجدْ
فعشقتَ الرحيلْ
في بحارِ المُنى
يا فؤاداً ملولْ
يا صديقي أنا

من أغاني الخروج

الى س. غ.

« بيننا يا جارتي بحر عميق »

الخروج

أخرج من مدينتي ، من موطني القديمْ
مطرّحاً أثقالَ عيشيَ الأليمْ
فيها ، وتحتَ الثوبِ قد حملتُ سرّي
دفنته ببابها ، ثم اشتملتُ بالسماءِ والنجومْ
أنسلُّ تحتَ بابها بليلْ
لا آمنُ الدليلَ ، حتى لو تشابَهتْ عليّ طلْعَةُ الصحراء
وظهرُها الكتومْ
أخرجُ كاليتيمْ
لم أتخيّر واحداً من الصحابْ
لكي يُفَدّيني بنفسِهِ ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسيَ الثقيلهْ

ولم أغادِرْ في الفِراشِ صاحبي يُضلِّلُ الطلَّابْ
فليسَ من يَطلبُني سوى « أنا » القديمْ
حجارةً أكون لو نظرتُ للوراءْ
حجارةً أصبحُ أو رُجومْ
سوخي إذن في الرملِ ، سيقانَ الندمْ
لا تتبعيني نحو مَهْجري ، نشدْتُكَ الجحيمْ
وانطفئي مَصابحَ السماءْ
كي لا ترى سوانحُ الألمْ
ثيابيَ السوداءْ
تحجّري كقلبكِ الخبيء يا صحراءْ
ولتُنْسِني آلامُ رحلتكْ
تذْكارَ ما اطّرحتُ من آلامْ
حتى يَشِفَّ جسْميَ السقيمُ
إن عذابَ رِحلتي طَهارَتي
والموتُ في الصحراءِ بَعْثِيَ المقيمْ

لو متُّ عِشْتُ ما أشاءُ في المدينةِ المنيرهْ
مدينةِ الصَحْوِ الذي يزخرُ بالأضواءْ
والشمسُ لا تُفارِقُ الظهيرهْ
أواه ، يا مدينتي المنيرهْ
مدينة الرؤى التي تشربُ ضوءا
مدينة الرؤى التي تمجُّ ضوْءا
هل أنتِ وهمُ واهِمٍ تقَطعَتْ به السُبُلْ
أم أنتِ حقْ ؟
أم أنتِ حقْ ؟

أغاني من العيون

-١-

عيناكِ عشّيَ الأخيرْ
أرقدُ فيهما ، ولا أطيرْ
هُدْبُهما وَثيرْ
خيرُهما وَفيرْ
وعندما حطّ جناحُ قلبيَ النزِقْ
بينهما ، عرفتُ أنني أدركت
نِهايةَ المسيرْ
كفّاكَ نُعمى ، نِعْمَ ما أعطيتِ للمسافرِ الفقير
ابن سبيلِ الحبّ والسرورْ

كانَ بلا زادٍ يَسيرْ
في المهمهِ المهجورْ
وفجأةً ، لاحتْ له بُشارَةٌ بيْضاءُ
رايةٌ من نورْ
راحةٌ من نورْ
ومِلتُ نحوَ ظلّكِ النَدي ، يا حبيبتي
أنشُقُ ريحَ الزهْرِ في حدائِقِكْ
أبُلّ قلبي بالنَدى ، أنـعِشُهُ بالظل والنَسائِمْ
يَغسِلُني حنانكَ الرقيقُ مِثلما ،
تغْتَسلُ السَماءُ بالغمائمْ
ومثلما تهتزُ للربيعِ شجَرَهْ
يَسقطُ عني ورقي القديمْ
يموتُ حزْنيَ العقيمُ ، حُزنيَ المقيمْ
يصافحُ الحياةَ وجهيَ الذي نضرْتِهِ ببَسْمتِكْ
أمدّ نحوَ الشمسِ كفّيا
وأرفعُ العينينِ للنُجومْ

- ٢ -

منْ أيّ نبْع رائق يفيضُ حبُّنا
يَغمُرُنا سعادةً كأننا طِفلانْ
لم نعرفِ التجوالَ في الزمانْ
أيّ نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانْ
وأيّ كأسٍ حلوةٍ تلكَ التي نذُوقُها
حينَ تطلُّ من عيوننا قلوبُنا المجنّحهْ
تبحثُ في الأحداقِ عن طعامِها ومائِها
ثم تنامُ في أمانْ
وأيّ كونٍ طيبٍ يحيطُنَا
حين نكونُ وحدنا معا
أي كمالٍ لم يُشاهَدْ مثلُهُ أيّ جمالْ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالْ
والناسُ شفّافونَ كالخيالْ
وأنتِ يا لؤلؤتي المنَوّرهْ
أنقى من الظلالْ

-٣-

يطيبُ لي في آخرِ المساءِ أن أقولَ كلمتينْ
شفاعةً أرفعُها اليكِ يا سيدة النساءْ
الحبُّ يا حبيبتي أغلى من العيونْ
صونيه في عينيكِ واحفظيهْ
الحب يا حبيبتي مَليكُنا الحنونْ
كوني له مطيعةً سميعهْ
الحب يا حبيبتي هديةُ الحياة لي ، ولَكْ
لمتعبيْنِ حائرَيْنِ في السنينْ
الحبُّ يا حبيبتي فِرْدوسُنا الأمينْ
حين تؤودُ ظهْرَنا الأيامْ
وتنتهي رَحلتُنا لشاطيء المنونْ
نذوبُ في هوائه مهللينَ باسمينْ
كأننا لحونْ

احلام الفارس القديم

لو أننا كنا كغصني شجرة
الشمسُ أرضعتْ عروقنا معا
والفجرُ روّانا ندىً معا
ثم اصطبغنا خضرةً مزدهِرهْ
حين استطلنا فاعتنقنا أذرُعا
وفي الربيع نكتَسي ثيابَنا الملوّنهْ
وفي الخريفِ ، نخلعُ الثياب ، نعرَى بَدَنا
ونستحمّ في الشتا ، يُدْفِئُنا حنوُّنا

لو أننا كنا بشطّ البحرِ موجتينْ

صُفَّيتنا من الرمالِ والمحَارْ
توَّجتنا سبيكةٌ من النهار والزَبَدْ
أسلمتا العنان للتيّارْ
يدفعُنا من مهدنا للحدْنا معا
في مشيةٍ راقصةٍ مُدندنهْ
تشربُنا سحابةٌ رقيقهْ
تذوبُ تحت ثغرِ شمسٍ حلوةٍ رفيقه
ثم نعودُ موجتين توأمينْ
أسلمتا العنانَ للتيارْ
في دورةٍ إلى الأبدْ
من البحارِ للسماءْ
من السماءِ للبحارْ

لو أننا كنا بخيمتَين جارَتينْ
من شرفةٍ واحدةٍ مطلعُنا
في غيمةٍ واحدةٍ مَضْجَعُنا

نضيءُ للعشّاقِ وحدهم وللمسافرين
نحو ديارِ العِشقِ والمحبّهْ
وللحزانى الساهرينَ الحافظينَ مَوْثِقَ الأحبّهْ
وحين يأفُلُ الزمانُ يا حبيبتي
يُدْركُنا الأُفولْ
وينطفي غرامُنا الطويلُ بانطفائنا
يبعثُنا الإلهُ في مساربِ الجنانِ دُرّتينْ
بين حصىً كثيرْ
وقد يرانا مَلَكٌ إذ يَعْبُرُ السبيلْ
فينحني ، حين نشدّ عينَهُ إلى صفائِنا
يلقطنا ، يمسحنا في ريشهِ ، يُعجبهُ بريقُنا
يرشُقُنا في المفرقِ الطهورْ

لو أننا كنّا جناحي نورسٍ رقيقْ
وناعمٍ ، لا يَبْرَحُ المضيقْ
محلّقٍ على ذُؤاباتِ السُفنْ

يبشّر الملاحَ بالوصولْ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنْ
منقارُه يقتاتُ بالنَسيمْ
ويرتوي من عرقَ الغيومْ
وحينما يُجنّ ليلُ البحر يطوينا معاً ... معا
ثم ينامُ فوقَ قلْعِ مركب قديمْ
يؤانسُ البحارةَ الذين أرْهقوا بغربةِ الديارْ
ويؤنسونَ خوفَهُ وحَيْرَتهْ
بالشدوِ والأشعارْ
والنفخِ في المزمارْ

لو أننا
لو أننا
لو أننا ، وآه من قسوة « لو »
يافتنتي ، إذا افتتحنا بالمنى كلامَنا
لكننا ...

وآه من قسوتها « لكننا »
لأنها تقولُ في حروفها الملفوفةِ المشتبكه
بأننا نُنكرُ ما خلّفَتِ الأيامُ في نفوسنا
نودُّ لو نخلعُهُ
نود لو ننساه
نود لو نعيدهُ لِرَحمِ الحياه
لكنني يا فتنتي مجرّبٌ قعيد
على رصيفِ عالمٍ يموجُ بالتخليط والقِمامَه
كونٍ خلا من الوَسامَه
أكسبني التعتيمَ والجهامه
حين سقطتُ فوقهُ في مطلعِ الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيام
يا فتنتي محارباً صلْباً ، وفارساً هُمام
من قبلِ أن تدوسَ في فؤاديَ الأقدام
من قبل أن تجلِدَني الشموسُ والصقيع

لكي تذلَّ كبريائيَ الرفيعْ
كنتُ أعيشُ في ربيعٍ خالدٍ ، أيَّ ربيعْ
وكنتُ إن بكيتُ هزَّني البكاءْ
وكنتُ عندما أحسُّ بالرثاءْ
للبؤساءِ الضعفاءْ

أودُّ لو أطعمتُهُمْ من قلبيَ الوجيعْ
وكنت عندما أري المحيرينَ الضائعينْ
التائهينَ في الظلامْ
أود لو يُحرقُني ضَيَاعُهُم ، أودُّ لو أضيءْ
وكنتُ إن ضحكتُ صافياً ، كأنني غديرْ
يَفترُّ عن ظِلِّ النجومِ وجهُهُ الوَضيءْ
ماذا جرى للفارسِ الهُمَامْ ؟
انخلع القلبُ ، وولى هارباً بلا زِمامْ
وانكسرتْ قوادِمُ الأحلامْ
يا مَن يدلُّ خطوتي على طريق الدمعةِ البريئهْ
يا مَن يدلُّ خطوتي علي طريق الضحكةِ البريئهْ

لك السلام
لك السلام
أعطيكَ ما أعطتنيَ الدنيا من التجريبِ والمهارهْ
لقاءَ يوم واحدٍ من البَكارهْ
لا ، ليسَ غيرَ « أنتَ » من يعيدُني للفارسِ القديمْ
دونَ ثمنْ
دون حسابِ الربحِ والخسارهْ

صافيةٌ أراكِ يا حبيبتي كأنما كَبُرْتِ خارجَ الزَمن
وحينما التقينا يا حبيبتي أيقنتُ أننا
مفترقانْ
وأنني سوف أظلّ واقفاً بلا مكانْ
لو لم يُعدْني حبكِ الرقيقُ للطهارَهْ
فنعرفُ الحبّ كغُصْنَيْ شجرَهْ
كنَجْمَتين جارتينْ
كموجَتَين توأمين

مثل جنَاحيْ نورسٍ رَقيقْ
عندئذٍ لا نفترَقْ
يضمنا معاً طريق
يضمنا معاً طريق

الكراسة الرابعة

صحائف من مذكرات مهملة

مذكرات الملك عجيب بن الخصيب

- ١ -

لم آخذِ الملكَ بحد السيفِ ، بل وَرَثْتُه
عن جَدّي السابع والعشرين ، (إن كان الزنا
لم يتخلل في جذورنا
لكنني أشبهه في صورةٍ أبدعها رسامهُ
رسامهُ ... كان عشيقَ الملكه)

-٢-

قصر أبي في غابة التِنّين
يضج بالمنافقينَ والمحاربينَ والمؤدّبين

من بينهم مؤدّبي الأمين « جورجياس »
وكان لوطيا مسيحيا

-٣-

« هل ماءُ النهرِ هو النَهْرْ ؟ »
« سقراطُ... محقٌّ حين تجرّعَ كأسَ الموتِ وما َفرْ ؟»
الميتُ ، يحس دعاءَ الأهلِ إذا ما أودِع في القبرْ ؟ »
« المرأةُ فخٌّ منصوبٌ ، واحفظْ وعْظي
إن جئتَ لديها ،
لا تأمَنْها ، حتى لو جَعَلَتْ فرشَ منامكْ
نهديها أو فخذيها »

– ٤ –

ورغم تعاليمه ، قد عرَفَتْ النساء
إماء أبي كنّ حين يُجنّ المساء
يجئنَ إليّ ، يضاجعنني ويلاعِبنني

وَيفضحْنَ لي ما يُسرّ أبي
اليهن ، حين تثورَ الدماءُ ، وتهمَدُ ظمأى
فيسحبُ ثوْبَه
وحين يُطبّ له كاهِنوه ، فتبتلُ رغبته بالرذاذْ
ويحمدُ رَبّهْ
ولم ينفع الطبُ ذات مساء ، على حذق كهانِهِ المعجِبِ
ومات أبي ، والدموعُ تسيل تسيل على وجنتيْه
وفي كفّهِ مِزْقةٌ من رداءِ حريرْ

- ٥ -

« مات الملك الفازي » ...
« مات الملك الصالح » ...
صاحتْ أبواقُ مدينتنا صَيْحاً ملهوفا
وقفَ الشعراءُ أمامَ البابِ صُفوفا
وتدحرجتِ الأبياتُ ألوفا
تبكي الملكَ الطاهرَ حتى في الموتْ

وتمجد أسماءَ خليفته الملكِ العادل

وتراوحُ في نبراتِ الصّوتْ

« صوت حيرانْ »

هناءٌ محا ذاكَ العزاء المقدّما

« صوت فرحان »

فما عَبَسَ المحزونْ حتى تبسّما

« صوت ريانْ »

فأنتَ هلالٌ أزهرُ اللونِ مُشرقُ

« صوت أسيانْ »

وكان أبوكَ البدرُ يلمَعُ في السما

« صوت غضبانْ »

وأنتَ كليثِ الغابِ همُّك همُّه

« صوت بالدمعة نديان »

وكان المليكُ الراحلْ اليومَ قشعَما

« صوت بالبهجة دلآنْ »

وأنتَ الغمامُ الماطرْ الخيرَ دائما

« صوت فياض بالأحزان »

وكان أبوكَ البدرُ قد فاضَ أنعُما

صوت مبسوط حتى قرب القافية الميميهْ »

فحييتَ من سَبْطِ سليلٍ أشاوِرِ

كرامٍ سجاياهم ...

وبوركَ مَن نما ... الخ

(ما أضجرَ هذي القافيةِ الميميهْ)

(لنْ يسكت هذا الشاعر حتى يَفنى حرفُ الميم)

- ٦ -

لو قلتُ كل ما تسرّه الظنونْ

لقلتمو مجنونْ

« الملكُ المجنونْ ! »

لكنني أبحثُ عن يَقين

في مجلسِ الصبحِ أنا تاجٌ وصولجانْ

تقطيبُ عينينِ وبَسمتانْ

أو بسمةٌ تعقبُها تقطيبتانْ
وكل حالٍ لها أوانْ
لكنني في مخدعي إنسانْ
وافزعي من المِسا إذا أطلْ
وافزعي من حيرةِ الأفكارِ في السُبُل
أبحث في كل الحنايا عنكِ ، يا حبيبتي المقنّعه
يا حِفنةً من الصفاءِ ضائعهْ
هل تختفينَ في الجسدْ
أعصُرُهُ فينتفضْ
وحين يَروي ينزوي ولا يَردْ
وبعد ساعةٍ يعودُهُ الظما ، كأنّ كل ما ارتوى
كان سراباً أو زَبَدْ

هل تختفينَ في غَيابَةِ الكؤسِ والحشيشِ والأفيون
كما يَقولُ الشاعرُ المأفونْ
« لولا الحشيشُ وسِنّةُ الألِفِ »

(ويقصد الأفيون)

« لغدوتُ في بؤسٍ وفي قرَف »

لقد خلطتْ أكئُوساً بأكئوسٍ كِثارْ
ثم مَزَجتَ أخضراً بأسودٍ بنارْ
شممْتُ خلْطةَ البَهارِ ، ثم غـْصْت في البحار
حين رأيتُ رأيَ العين طائراً برأسِ قِرْدْ
وحينما أرادَ أن يقولَ كلْـمةً نهَقْ
كان لهُ ذيلُ حِمارْ
ضحكتُ حتى قضقضَتْ ضلوعُ صدري
ثم غفوتْ
رأيتُ في المنامِ أنني أقود عرَبهْ
تجرّها سِتٌ من المهَارى
تجوبُ بي الوديانَ والصَحَارى
وفجأةً تحولتْ خيولُها قِطاطا
تمشي إلى الوراءِ ، وجْهُها ، عيونها تبصُ لي شرارا
ثم غدَتْ عيونها نجوما

هذا النجم .. النجمُ القطبي
الدب القطبي الأبيضْ
صارتْ قِططي دِببَهْ
يخطو نحوي الدبّ القطبيّ ليأكلَني
أو يأخذني ليعلقني في فَكه
أتخيل أني قد عُلقتُ بفك الدب الأبيضْ
أني أتدلّى من أسنان الدبّ الأبيضْ
يا خدامَ القصرِ .. ويا حراس .. ويا أجنادْ
.. ويا ضباط ... ويا قادهْ
مُدّوا حولَ الكرةِ الأرضية نَسجَ الشبَكهْ
كي يَسْقطَ فيها ملِكُكم المتدلي

* * *

سقطَ الملكُ المتدلي جنبَ سريرهْ

مذكرات الصوفي بشر الحافي

« أبو نصر ، بشر بن الحارث ، كان قد طلب الحديث ، وسمع سماعاً كثيراً ، ثم مال إلى التصوف ، ومشى يوماً في السوق ، فأفزعه الناس ، فخلع نعليه ، ووضعها تحت ابطيه ، وانطلق يجري في الرمضـــاء ، فلم يدركه أحد ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائتين »

- ١ -

حينَ فقدنا الرضا
بما يريدُ القضا
لمْ تنزل الأمطارْ
لمْ تُورق الأشجارْ
لمْ تلمع الأثمارْ
حين فقدنا الرضا
حين فقدنا الضحِكا
تفجرت عيوننا ... بُكا
حين فقدنا هدأةَ الجنْبِ

على فراش الرضا الرحبِ
نام على الوسائدِ
شيطانُ بغضٍ فاسدِ
معانقي ، شريكُ مضجعي ، كأنما
قرونهُ على يَدي
حين فقدنا جوهرَ اليقينْ
تشوّهت أجنةُ الحبالى في البُطونْ
الشعرُ يَنْمو في مَغاورِ العُيونْ
والذقن معقودٌ على الجبينْ
جيلٌ من الشياطينْ
جيلٌ من الشياطينْ

- ٢ -

إحرصْ ألّا تسْمَعْ
إحرصْ ألّا تنْظرْ

إحرص ألا تلمَس
إحرص ألا تتكلم
قف ! ...
وتعلّقْ في حَبلِ الصَمْتِ المبْرَمُ
ينبوعُ القولِ عميقْ
لكنّ الكفَّ صغيرَهْ
من بين الوسطى والسبّابةِ والإبهامْ
يتسرّب في الرملِ .. كلامْ

- ٣ -

ولأنك لا تدري معنى الألفاظِ، فأنت تناجزني بالألفاظ
اللفظُ حجَرْ
اللفظ مَنيّهْ
فإذا ركبتَ كلاماً فوق كلامْ
من بينهما استولدْتَ كلامْ

لرأيتَ الدنيا مولوداً بشعاً
وتمنيتَ الموتْ
أرجوكْ ...
الصمتَ ...
الصمتْ !

- ٤ -

تظلُ حقيقةٌ في القلبِ توجعهُ وتـُضْنيه
ولو جفتْ بحارْ القولِ لم يُبْحِرْ بها خاطِرْ
ولم يَنشر شِراعَ الظنّ فوقَ مياهها ملاّحْ
وذلك أن ما نلقاهُ لا نبْغيه
وما نبغيه لا نلقاهْ
وهل يُرضيكَ أن أدعوكَ يا ضيفي لمائدتي
فلا تلقى سوى جِيفَـهْ
تعالى اللهُ ، أنتَ وهبتنا هذا العذابَ وهذه الآلامْ

لأنك حينما أبصرتنا لم نحْلُ في عيْنيكْ
تعالى الله ، هذا الكونُ موبوءٌ ، ولا برْءُ
ولو ينصفنا الرحمنُ عَجّلَ نحونا بالموتْ
تعالى الله ، هذا الكونُ ، لا يصلحهُ شيءُ
فأين الموتُ ، أينَ الموتُ ، أينَ الموتْ

- ٥ -

شيخي « بسام الدين » يقولْ :
« يا بشرُ .. اصبرْ
دنيانا أجملُ مما تَذكرْ
ها أنتَ ترى الدنيا من قمّةِ وجدِكْ
لا تبصرُ إلا الأنقاضَ السوداءْ »

ونزلنا نحوَ السوقِ أنا والشيخْ
كان الإنسانُ الأفعَى يَجهَدُ أن يلتفّ على الإنسان
الكرْكي

فمشى من بينهما الإنسانُ الثعلبْ
عجباً ، ...
زورُ الإنسانِ الكركي في فكّ الإنسانِ الثعلبْ
نزَلَ السوقَ الإنسانُ الكلبْ
كي يفقأ عينَ الإنسانِ الثعلبْ
ويدوسُ دماغ الانسان الأفعى
واهتزّ السوقُ بخطواتِ الانسانِ الفهد
قد جاءَ ليبقرُ بطنَ الانسانِ الكلبْ
ويمصّ نخاعَ الإنسانِ الثعلبْ
يا شيخي بسامَ الدين
قلْ لي .. « أينَ الانسانُ .. الانسانُ ؟ »
شيخي بسام الدين يقول :
« اصبرْ ... سيجيء
سيهُلّ على الدنيا يوماً ركبُهُ »

يا شيخي الطيب !
هل تدري في أيّ الأيامِ نعيشْ ؟

هذا اليومُ الموبوءُ هو اليومُ الثامن
من أيامِ الأسبوع الخامسْ
في الشهر الثالث عشر
الانسانُ الانسانُ عَبر
من أعوام
ومضى لم يَعرفْهُ بَشَر
حَفر الحصْبَاء ، ونام
وتغطى بالآلام ....

تأملات في زمن جريح

تأمّلات في زمنٍ جريحْ

حكاية المغني الحزين

ذلك المساء

حدثتموني عن سنابكٍ مجنحهْ
تفتّق الشرار في أهلّة المآذنْ
عن عصبة من السيوف، لا تفلْ
قد أُغمدت في الصخر، لا تُسلّْ
إلا إذا قرأتم دونها أسماءَكم
يا عصبة الأماجد ، الأشاوس ، الأحامد ، الأحاسن

وقلتمُ :
« يا أيها المغني غننا
مُسَمَّلَ العينين في حضرتنا

لحناً يثير زهونا
ويذكر انتصارنا
(إذا تحين ساعة موعودة ، تغيم في أشراطها
لم تنخلع عن غيمها إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خَوْذَةُ الشيطان
كأساً لخمر سيد الفرسان) »

استطراد أعتذر عنه

وصنْعتي يا سادتي مغني
معانق قيثارتي ،
فؤادي المطعون بالسهام الخمسة
صندوق سري ،
خزنة المتاع ، روضتي وقبري
أزرع فيها ُجثَثي ، خلعتها في زمني المفقود
أدفنها في صدرها المفئود
أزورها في خلوة الوجد ، إذا داهمني المساء
بدون أن أُعّد له
زاداً من الحشيش والنساء

أكشف عنها الكفنا
أقيمها ، أنيمها ممدودةً ، أطرد عنها الوسنا
أنظر في عيونها الماسية البكماء
ثم أُوَلّي هارباً للكأس والبكاء

●

وهذه الجثث :
الجثة الأولى لطفل جائع فقير
دفنتها منذ زمان موغل في البعد والعتامه
بكيت حينما دفنتها
بكيت وانكسرت وانعصرت
بكيت وانتسخت
بكيت حتى كدت أن أنحلّ كالغبار ،
أو أذوب كالغمامه

عيني عليها ، سادتي الفرسان
(فجاءةً نمت على أكتافها رأسان

فواحد ، ملتمع العينين ، للأمام ترنوان
وآخر تمتد عيناه بلا أجفان
نائمةَ الحدْقَـةِ في قفاه
كأنه ثعبان

●

معذرةً ، نختصر الكلامْ
فالجثث الكثيرة التي دفنتها عاماً وراء عام
تريد أن تنام

« أسقيكم الخمرة والأفيون
فلا تضجوا أيها الطيبون
أسقيكم البكاء والأنين
ناموا على محاجري
يا أيها الموتى الأعزاء ،
ويا دراري العيون
ماذا تقولون وتشغبون ؟

ماذا تحدّثون ؟
يا أيها الموتى المعذبون

أنتِ ، ألم أدفنك منذ عام
أيتها الجثة الغريبه ؟
نزلت للزمان ِخلقةً عجيبه
طويلة الساقين ، دون رُكَبه
واسعة الشدقين
كأن ضحكاً فاتراً يلتف كالطحلب في الفكين
لكنما ، وا أسفا ، مطفأة العينين
يا جثة المهرج القديم
نامي ، أيا طفلتي التي حييت في ثيابها
عاماً وراء عام
نامي على فراشك الغبار
ولتقضمي رغيفك القفار

وأنت يا جامدة الأحداق كالنجوم
يسيل من أشداقك الكلام أبيضاً وُمملِحاً
كالزبد المسموم
أنت ألم أدفنك أمس
(كانت لكهل أشيب حكيم
ومات إذ ساموه أن يغترف الحكمة بالمقلوب
إذ أنها تدحرجت من ساقه ، لبطنه ،
لرأسه ، كالخوف ، كالعطن)

نامي ، أيا صديقتي المعذبه
بدائك الأليم
واستفرغي حكمتهم في ثوبك القديم

استطراد آخر
قصير قد يكون نافعاً

« وموقفي يا سادتي في آخر الممر
أربعة نحن من الصحاب
مهرج البلاط ، والمؤرخ الرسمي ، والعراف ، والمغني
وكلنا بدون أسماء ولا سيوف
وكلنا مؤجّر بالقطعه
ونستعير ثوبنا المذهب الأطراف
من خزنة السلطان
وبيننا صداقة عميقة ، كالفجوه

عود الى ما جرى ذلك المساء

في ذلك المساء
يا سادتي الأماجد ، الأشاوس ،
الأحامد ، الأحاسن
يا زينة المدائن
يا أنجم الساري ،
مفرقين في البلاط تزدادون روعة وحسنا

فإن تجمعتم ،
فنور كل كوكب يخامر النور الذي يبثه رفيقه
ولا يذوب فيه

(أقولها صدقاً ، ولا أزيد فيه)

الله ما أعظمكم ، وما أرقكم ، وما
أنبلكم ، وما أشجعكم ، وما
أخبركم بالخيل والطعان والضراب والكمائن
والفتح والتعمير والتدمير والتحبير والتسطير
والتفكير والتخريب والتجريب والتدريب والألحان
والأوزان والألوان والبناء والغناء والنساء
والشراء والكراء والعلوم والفنون واللغات
والسمات ...
وباختصار
أنتم هدية السماء للتراب الآدمي ،
نحن حفنة الأموات
وشارة على اقتدار الله أن يخلق أمثالاً من الفانين
ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في عشرين »

أقولها صدقاً ، ولا أزيد فيه
أقسم بالموتى الذين يخبشون تحت جلدي

●

في ذلك المساء
كنت حزيناً مرهقاً في ذلك المساء
لعلكم لا تعرفون الحزن يا سادتي الفرسان
(وإن عرفتموه ، فهو ليس حزني)
حزني لا تطفئه الخمر ، ولا المياه
حزني لا تطرده الصلاه
قافلة موسوقة بالموت في الغرار ،
والأشباح في الجرار ، والندم
عليَّ وحدي أن أقودها إذا دعى النفير
نفير نصف الليل
أهوى بها ممزقاً على أخلافِ نوقِها
إلى مغاور النسيان والعدم

قافلة موسوقة بالموت والنشور
عليَّ وحدي أن أجرها من كهفها المقبور
أقودها ثانية على حبال الشمس
حتى أوافي غدها المقدور

●

حزني لا يفنى ولا يستحدث

●

وقلتمُ : يا أيها المغني غننا
مسمل العينين في حضرتنا
لحناً يثير زهونا
ويذكر انتصارنا
(إذا تحين ساعة موعودة ، تغيم في أشراطها
لم تتخلع عن غيمها إلا لنا
الساعة التي تصير فيها خوذة الشيطان
كأساً لخمر سيد الفرسان)

غنيت ، كان في قرار اللحن
ما لم أُجِد كتمانه من وحشة وحزن
وقام منكم سيد ، لعله ساقي الحرس
(لأنه يمشي وكفاه إلى الأمام)
وشدني من أذني بهمسه المبحوح
أكتم عنك أم أبوح ؟
أكتم عنك أم أبوح ؟

وارتعدت موتاي في داخليَ المكسور يا سادتيَ الأمجاد
وانشلك من ساقي إلى حنجرتي عظاميَ المدببه
وحلـّق الخوف على فضاء ما ترى عيوني المنسكبه
وربما سألته لأنه اتـّكا ومال فوق بعضه ، وزاد :

« وشت بك الأنغام ، أيها الغلام
(سني تقارب الخمسين، ربما يكون هذا اللفظ شارة الوداد)
في صوتك الخفي رنة منشرخه »

مشبوهة القصد ، غريبة المرام
كأن شكاً ساخراً كالجثة المنتفخه
يطفو ويهوي في مدى لهاتك المسلّخه

●

بعد قليل من زمان
طردت من بلاط القصر يا سادتي الفرسان
صرت ابن سبيل ، جائعاً مهان

●

حتى أتت خيول عصبة الشيطان
إذا بكم تمضون كالنعامة المجنحه
والأسفاً قلوبكم مسافحه

اعتراف تأخر عن أوانه

كنت أحس سادتي الفرسان
انكمو أكفان
وكان هذا سرَّ حزني ..

كلمة قصيرة

أصبحنا مثل الطين بقاع البئر
لا يملك أن يتأمل صفحة وجهه

رسائل من الماضي

أرى عيني ما لم تبصراه
كلانا عالم بالنزهات

« أصدق بيت قالته العرب »

وأعجب مني كيف أُخدع عامداً
على أنني من أعلم النـــاس بالناس

« أصدق نصف بيت قالته العرب »

مذكرات رجل مجهول

- ١ -

أصحو أحياناً لا أدري لي اسما ،
أو وطناً ، أو أهلا
أتمهل في باب الحجرة حتى يدركني وجداني
فيثيب إليّ بداهة عرفاني
متمهلةً في رأسي ، تهوي في أطرافي ثِقْلا
تلقي مرساها في قلبي ...
هذا يوم مكرور من أيامي
يوم مكرور من أيام العالم

تلقيني فيه أبواب في أبواب
ويغلني عرقي ثوباً نسجته الشمس الملتهبه
ثوباً من إعياء وعذاب
وأعود إلى بيتي مقهورا
لا أدري لي اسما ،
أو وطنا ،
أو أهلا

- ٢ -

هذا يوم تافه
مزقناه إرباً إربا
ورميناه للساعات

هذا يوم كاذب
قابلنا فيه بضعة أخبارٍ أشتاتٍ لقطاءْ
فاعتنّاها بالمأوى والأقوات

وولدنا فيه كذبا شخصيا ،
تَمَيَّناه حتى أضحى
أخباراً تعدو في الطرقات

هذا يوم خوّان
سألونا قبل الصبح عن الحق الضائع
فنكرناهُ وجحدناهْ
وتمسينا في الحانات
ودفعنا أجرة رشوتنا ، ثمن فطانتنا الصفراء
بين ضجيج الكاسات

هذا يوم بعناه للموت اليومي
بحياة زائفة صلده
وفرحنا أنّا ساومناهْ
وخدعناه ، ومكسناه

ما أحسن أنا علقنا هذا اليوم الغاربَ ...
في منحدر الشمس
فهوت ببقاياه

- ٣ -

الأرض بَغِيٌ طامث
دمها يجمد في فخذيها السوداوين
لا يُطَهِّرُها حَمْلٌ أو غُسْل
من ضاجعها ملعون

الأبنية المرصوصة في وجه المارين سجون
سجانوها الحيطان وقرب الإنسان من الإنسان
سجناً أبدياً ... يا مسجون
والأيام الأشراك
من تحت مُلاءتها أخفتها عنا مائدة الإفطار
في الشارع غطتها أوراق الأشجار

علبُ التبغ الملقاة ، وأوراق الصحف المزوقه
والبسمةُ في عين الجار
فاسقط يا مطعون

- ٤ -

الحمد لنعمته من أعطانا هذا الليل
صمتُ الأشياء وسادتنا
والظلمة فوق مناكبنا
ستر وغطاء

الحمد لنعمته من أعطانا الوحده
لنعود إليها حين يموت اليوم الغارب
ونلم الأشلاء

الحمد لنعمته من أعطانا ألا نختار
رسم الأقدار

فلو اخترنا لاخترنا أخطاء أكبر
وحياة أقسى وأمر
وقتلنا أنفسنا ندما
ثمن الحرية ... ما دمنا أحرار

- ٥ -

يا هذا المفتون البسام الداعي للبسمات
نبئني ، ماذا أفعل
فأنا أتوسل بك
هل أغمس عيني في قمر الليل
أم أقتات الأعشاب المرة والورقا
أم أفتح بابي للأشباح ،
وأدعوها ، وأُطاعِمها
وأقدمها للألواح الممدودة حول خواني
وأقوم خطيباً فيهم ...
أحبابي ..! إخواني !

أم أبكي حين يجن الليل ،
وأغفو دمعي في فودي
أم أضحك في مرآتي وحدي
إن كنت حكيماً نبئني كيف أجَّن
لأحسّ بنبض الكون المجنون
لا أطلب عندئذ فيه العقل

– ٦ –

ها قد سلمت لكم ... قد سلمت
ضاعت بسماتي
لم تنفعني فلسفتي ،
سلمت
كُسِرَت راياتي
عجزتْ عن عوني معرفتي
سلمت
وشجاعاً كنت لكي أنضو

عن نفسي ثوب الزهو المزعوم
وشجاعاً كنت لكي أتهاوى عريانا
أثني ساقي ، أستصرخكم ...
هل، تدعوني وحدي ؟
وكفاكم إني سلمت
أم تضعوني في لحدي ؟
... ...
كونكم مشئوم
كونكم مشئوم

انتظار الليل والنهار

وهكذا مات النهار
ومال جنب الشمس ، واستدار
ثم تساقط المساء فوقنا ،
مثل جدار خرب ، وانهارْ
واعتنقت صحيفة السماء والغبراء ،
لطختنا الجبين بالغبار
وانطفأت نوافذ المرضى ، وأنوار الجسور
أعين الحراس والمآذن
تكوّمت حوائط الظلمة في مداخل البيوتِ والمخازن
فانكفأت كثيبةً مرصوصةً ، كأنها مدافن

منهارة على بقايا جبل منهار

●

في آخر المساء شعشعت سحابة بنور
سحابةٌ ناحلة رقيقه
وأومضت حمراءَ حمرةَ الزهور
سويعةً ، وانطفأت في عتمة الأفق
واندفع النهار
(يا حمرة الغسق
يا لون عمري الذي ودعته حقيقةً ...
وعشته تَذكار
أضاعكِ الليل كما أضاعك النهار)

●

وهكذا مات المساء
حين تقلبت على ضلوعها الشمسُ ،
وهبت تعتلي السماء

تنفست شوارع المدينة الرعناء
أصوات ضجّةٍ بلا إيقاع
وانسكبت مجامر الشعاع
تمور في العيون ، تكشف الظلالَ ،
تثقب الحجر
أواه يا نور الضحى ،
ملأت قلبي فزَعاً وترحا
لأنني رأيت فوق ما أردت أن أرى
بوركتِ وقْدَةَ الظهيرة
النورُ يجلدُ العيونَ ، تَعشَى ، لا ترى
من البيوت والبشر
سوى مُكعَّباتِ لونٍ وحجر

●

في آخر اليوم تدب في عروق الشمس فترة الملال
ويولد اللون الرمادي الرقيق
حتى ضجيج الطرقات

ينحلُّ إيقاعاً رمادياً رقيقا
(كلون أيامي التي ما استطعت أن أعيشها حياة ...
فعشتها تأملا)

●

سويعة ، ويهبط السوادُ حين ينقضي الأصيل
فالشمس ألقت نظرة الوداع
واتكأت مرهقةً على التلال

●

وهكذا تمضي الحياة بي ،
أعيش في انتظار

هل ...
لحظةٌ مشرقة في ظلمات الليل
أو ... لحظةٌ هادئةٌ في غمرة النهار

مرثيتان

١ ـــ مرثية رجل تافه

مضت حياته .. كما مضت
ذليلةً موطأه
كأنها تراب مقبره
وكان موته الغريب باهتاً مباغتا
منتظراً ، مفاجأه
(الميتة المكرره)

كان بلا أهل ، بلا صحابْ
فلم يشارك صاحباً حين الصبا لهو الصبا
ليحفظ الوداد في الشباب

كان وحيداً نازفاً كعابر السحاب
وشائعاً كما الذباب

وكنت أعرفه
أراه كلما رسا بي الصباح في بحيرة العذاب
أجمع في الجراب
بضع لقيمات تناثرت على شطوطها التراب
ألقى بها الصبيان للدجاج والكلاب
وكنت أن تركت لقمة أنِفتُ أن ألمها
يلقطها ، يمسحها في كمه ،
يبوسها ، يأكلها
« في عالم كالعالم الذي نعيش فيه
تعشى عيون التافهين عن وساخة الطعام والشراب »

وتسألونني : أكان صاحبي ؟
وكيف صحبة تقوم بين راحلين
إذن لماذا حينما نعا الناعي إليّ نعيَه

بكيتُه
وزارني حزني الغريب ليلتين
ثم رثيتُه

٢ — مرثية رجل عظيم

كان يريد أن يرى النظام في الفوضى ،
وأن يرى الجمال في النظام
وكان نادر الكلام
كأنه يبصر بين كل لفظتين
اكذوبةً ميتة يخاف أن يبعثها كلامه
ناشرة الفودين ، مرخاة الزمام

وكان في المسا يطيل صحبة النجوم
ليبصر الخيط الذي يلمها
مختبئاً خلف الغيوم

ثم ينادي الله قبل أن ينام :

الله ، هب لي المقلة التي ترى
خلف تشتت الشكول والصور
تغيُّرِ الألوان والظلال
خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال
وخلف ما تسدله الشمس على الدنيا ...
وما ينسجه القمر
حقائق الأشياء والأحوال

وتسألوني : أكان صاحبي
هل صحبةٌ تقوم بين سيد عظيم
وخادمٍ محتالْ ؟

زيارة الموتى

زرْنا موتانا في يوم العيد
وقرأنا فاتحة القرآن ، ولممنا أهداب الذكرى
وبسطناها في حضن المقبرة الريفيه
وجلسنا ، كسّرنا خبزاً وشجوناً
وتساقينا دمعاً وأنينا
وتصافحنا ،
وتواعدنا ، وذوي قربانا
أن نلقى موتانا
في يوم العيد القادم

●

يا موتانا
كانت أطيافكم تأتينا عبر حقول القمح الممتده
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى
والبيتِ الواطىء في سفح الأجران
كانت نسماتُ الليل تعيركم ريشا سحريا
موعدكم كنا نترقبه في شوق هدهده الاطمئنان
حين الأصوات تموت ،
ويجمد ظل المصباح الزيتي على الجدران
سنشم طراوة أنفاسكمُ حول الموقد
وسنسمع طقطقة الاصوات كمشي ملاك وسنان
هل جئتم تأتنسون بنا .؟
هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا ؟
هل ندفئكم فينا من برد الليل ؟
نتدفأ فيكم من خوف الوحده

حتى يدنو ضوء الفجر ، ويعلو الديكُ سقُوف البلده
فنقول لكم في صوتٍ مختلج بالعرفان

عودوا يا موتانا
سندبر في منحنيات الساعات هنيهات
نلقاكم فيها ، قد لا ُتشبعُ جوعاً ، أو تروي ظمأ
لكن ُلقَمٌ من تذكارٍ ،
حتى نلقاكم في ليل آت

●

مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمسِ الحاضرة الجرداء الصلده
يا قاسية القلب الناري
لم أنضجتْ الأيامُ ذوائبَنَا بلهيبك
حتى صرنا أحطاب محترقات
حتى جفّ الدمع النديانُ على خدّ الورَقِ العطشان
حتى جفّ الدمع المستخفي في أغوار الأجفان

●

عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد

لما أدركتم أنّا صرنا أحطاباً في صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمآن
قد نذكركم مرات عبر العامِ ...
كما نذّاكَرُ حلماً لم يتمهل في العين
لكن ضجيج الحاضرة الصخريه
لا يسعفنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا ، ونَلمْ ملامحكم
ونخبئَها طيّ الجفن

●

يا موتانا
ذكراكم قوت القلب
في أيام عزتْ فيها الأقوات
لا تنسونا .. حتى نلقاكم
لا تنسونا .. حتى نلقاكم

حديث في مقهى

أتحول عن ركني في باب المقهى حين تداهمني الشمس
أتحول عن شباكي حين يداهمني برد الليل
أتبسم أحياناً من أسناني
أتنهد أحياناً من شفتيَّ
أحلم في نومي حلماً يتكرر كل مساء
أتدلى فيه معقوداً من وسطي في حبل
ممدوداً في وجه ركام الأبنية السوداء
أتسمّع طلقاً نارياً ، يتماوج حولي مثل ذبابه
يهوي جسمي المجروح
ويرفرف حيناً ،

ثم يغوص بطيئاً في جوف الكون المفتوح
أخشى عندئذ أن أؤخذ عنوَه
حين أمس تراب الأرض الرخوه
لأفرّغَ من أمعائي ، وأعلق في متحف
فأظل أرفرف ...

تعصر قلبي الوحدة في ساعات العصر المبطئة الخطوات
تبدو الدنيا من شباكي
ميتةً مسجاة
باهتة اللون مكتّمة الأصوات
أمضي عندئذ ، أتسكع في الطرقات
أتتبع أجساد النسوه
أتخيل هذا الردف يفارق موضعه ويسير على شقيه
حتى يتعلق في هذا الظهر
أو هذا النهد يطير ليعلو هذا الخصر
(وأعيد بناء الكون)
لا يمضي زمن حتى تتمدد أجنحة الظلمه

تتكوم عندئذ في عيني المرئيات
تتقارب فيها الأجسام وتتلاصق
تتواجه تتعانق
تندمج وتهوي في الأفق المغلق
تبدو كتلٌ أخرى من أركان نائية جهمه
تتكورُ أجساماً
تتكسَّر جسماً جسما ، تتشكلُ هاماتٍ ،
قاماتٍ ، أذرعةً ، أقداما
تتقدم نحوي حتى أخشى أن تصدمني
أتوقف لا أدري ماذا أفعل
فأعود إلى شباكي

●

أتردد أحياناً قرب الفجر على احدى الحانات المشبوهه
أشرب كأسين
ألقي بالثالث والرابع خلفي خلسه
لا تلمحني عين

وأقدم نفسي للساقي المصبوغ الفودين
اسمي : احيا باْسمَين
اسم يعرفه أهلي
واسم لا يعرفه إلا أتباعي وعشيقاتي
تغمز لي عينا الساقي ، ويشير باصبعه المبلله
لامرأةٍ صامتةٍ ملقاةٍ في قاع الحانه
فتهبُ لأتبعها مرتعدَ الساقين
لكنّا نتفرقُ خلفَ البابِ المغلق

●

– هل فاجأتك بحديثي ؟
– . . . .
– إنصاتك كان كريماً منك ؟
– . . . .
– لكني لست غريباً عنك
لست غريباً عنك

أنثى

حبيبي أطفأ المصباحَ ،
وانطفأت مرارته على بدني
وأيقظ حزنه ، وأراق من عينيه في وَسَني ،
فأيقظني
ومد جناحه المحطوم من حولي
وعانقني
ووشوش صوته المنغوم في أُذني
يؤرجحني
على أغصان دمعته التي امتزجت ، وفرحتَه
وحين أصاب من نفسي الذي يبغيه ،

أطلقني
وأغفى في جواري ، والمساء يلم طرحته
لتولد في الصباح مرارةٌ أخرى
وتولدَ ،
شهوةٌ في الليل ، تدفع صَدْرَ محبوبي
ليطفأها على بدَني

رؤيـــا

في كل مساء ؛
حين تدق الساعة نصف الليل ،
وتذوي الأصوات
أتداخل في جلدي ، أتشرَّب أنفاسي
وأنادِمُ ظلي فوق الحائط
أتجوَّل في تاريخي ، أتنزَّه في تذكاراتي
أتحد بجسمي المتفت في أجزاء اليوم الميت
تستيقظ أيامي المدفونة في جسمي المتفتت
أتشابك طفلاً وصبياً وحكيماً محزونا
يتآلف ضحكي وبكائي مثل قرار وجواب

أجدِلُ حَبلا من زهوي وضياعي
لأعلّقَهُ في سقف الليل الأزرق
أتسلقه حتى أتمدد في وجه قباب المدن الصخرية
أتعانق والدنيا في منتصف الليل

●

حين تدق الساعة دقتها الأولى
تبدأ رحلتي الليليه
أتخير ركناً من أركان الأرض الستة
كي أنفُذَ منه غريباً مجهولاً
يتكشّفُ وجهي ، وتسيل غضون جبيني
تتماوج فيه عينان معذبتان مسامحتان
يتحول جسمي دُخاناً ونداوه
ترقد أعضائي في ظل نجوم الليل الوهاجة والمنطفأه
تتآكلها الظلمة والأنداء ، لتنحلَّ صفاءً وهيولى
أتمزق ريحا طيبة تحمل حبات الخصب المختبئه
تخفيها تحت سراويل العشاق ،

وفي أذرعة الأغصان
أتفتت أحياناً موسيقى سحريه
هائمة في أنحاء الوديان
أتحول حين يتم تمامي — زَمنا
تتنقل فيَّ نجوم الليل
تتجوَّلُ دقات الساعات

●

كل صباح ، يفتح باب الكون الشرقي
وتخرج منه الشمس اللهبيه
وتذوِّبُ أعضائي ، ثم تجمدها
تُلقي نوراً يكشِفُ عُرْيي
تتخلَّع عن عورتي النجمات
أتجمَّعُ فأراً ، أهوي من عليائي ،
إذا تنقطعُ حبالي الليليه
يلقي بي في مخزن عاديات
كي أتأمل بعيونٍ مرتبكه
من تحتِ الأرفف أقدامَ المارةِ في الطرقات ..

الشمس والمرأة

كانت تتململ في ضجعتها ،
شمسٌ غاربةٌ ،
تتفصَّدُ نوراً مكتوماً ،
تتمزق في منحنيات الظل
وتهوي أشلاءَ

كانت تتململ في ضجعتها ،
تخفي بضع خطوط في ساقيها ،
تتمدَّدُ زرقاء
عيناها تنطفئان وتشتعلان
هُدْباها يرتخيان ويرتعدان

تتذاكر عهداً ذهبياً ،
قضته في صحبة رجل مجنونٍ ،
لا يتورع أن يضجعها فوق العشبِ
ويلقم نهديها حتى تبكي إعياءَ

●

هبطت عن مضجعها لما جاء الليل ،
بلثت شيخوختها في ماء البحرْ ،
أغفت حتى تولد في الصبح الداني ، عذراء

●

هزت نهديها المطوطين
بحثت بينهما عن مفتاح الغرفهْ
نظرت تتلمس خطوتها في الرمل ،
وقامت مرهقة شمطاءَ
أخذت من أول دكان
ما يكفيها من خبز ونبيذ ودخان

ذهبتْ كي ترقد في ماضيها ،
تنشئه إنشاءَ

●

الصبح يشد ذؤابات الشمس العذراءِ
ويُفرشها الحصباءَ

●

كانت تتبسَّم ميتةً ،
ويداها في نهديها ،
فَمُها يتحلَّب ماءَ

يا نجمي .. يا نجمي الأوحد

ها أنت هنا ، أشرقت على موعد
يا نجمي ، يا نجمي ، الأوحد
يا فرحي ، يا عمري الأسعد
وأنا أخطو نحو الدار
قلبي المشبوبُ ، وقد أغفت
في صدري باقةُ أزهار
وسنجلس في الركن النائي .. قطين أليفين
مقرورينِ
نتحسَّسُ ما أبقت أيامُ الذل على وجهي المكدود
وعلى خديك من الألم الممدود

يا نجمي ، يا نجمي الأوحد
ما زلنا – ما زال العالم
ما زال كئيباً ، ما زالا
وأنا أصعد
وأدق على صدرِ الباب
ويجيبُ الصوتُ المجهود
« إن كنت صديقا فتقدم »
وأقول « سلاماً »
وأنا لا أملك من دنياي سوى لفظ سلام
وجلسنا في الركن النائي ...
نحكي ما قد صنعته الأيام
ونما في قلبينا مرح مغلول الأقدام
مرح خلاب كالأحلام
وقصير العمر
هل يضحك يا نجميَ إنسان مقصوم الظهرْ
يا نجميّ ...

فلنتناجى ،
ولنتحسس ما أبقت أيام الذل
ولأن الأيام مريضه
ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب
تعتل كلمات الحب

يا نجمي ، يا نجمي الأوحد
ما يصنع ِقزمان التقيا في ظل مساء ؟
منهوكين
وعليلين
نظرا في استحياء
َعرفا الأيامَ المروره
وأنين النفسِ المكسوره
وسعار الدَمِّ المذنب حين يحن إلى الدم
لفحت أيام الرعب ُرواءَهما حتى شاها
وذوى في عينها زهو الفطنه

عريا من بزّةِ هذا العصرِ المشهود
صَغُرا ، صَغُرا ، حتى دَقّا
حتى صارا قزمين
مقرورين

ثم التقيا في ظل مساء
في قلب العاجز ماذا يُلقي العاجز
ماذا يَهَبُ العُرْيانُ إلى العريان
إلّا الكلمه
والجلسة في الركن النائي ،
قزمين ودودين
صَغُرا ، صَغُرا ، حتى دقا
في قلب العاجز ماذا يُلقي العاجز إلا الحبُّ المعتل
مَسَحَت صدر الشباك أصابعُ ريحٍ شرقيه
وتوهج قلبانا من شيء يولد في الظلمه
فتلاصقنا
وتعانقنا

ثم خبا ، لم ندرك شيئاً
وتهدل كفّانا ، أغضت
عينانا ، أذرفنا دمعه
يا أيتها الريح .. الريح الشرقية
يا .. يا وهج الدفء
عودا ! أوصدنا بابينا
وعرفنا أنّا قزمان
مقروران
من خيركما لم ندرك شيئا
وداعاً يا نجمي الأوحد
ولأن الأيامَ مريضه
ولأن الليلَ الموحش يولَدُ فيه الرعب
لن نجني .. حتى الحب

طفل

قولي .. أماتْ
جسّيه .. جسي وجنتيه
هذا البريق
ما زال ومضٌ منه يفرش مقلتيه
هذي أصابعه النحيله
هذي جدائله الطويله
أنفاسه المترددات ُ بصدره الوردي كالنغم الأخير
من عازف وفد النعاس عليه في الليل الأخير
وتلك جبهته النبيله
بيضاء يلمع فوق موجتها الزبد

قولي .. أمات
وأنا غدوت بلا أحد

●

وسألتني .. ما الوقت ، هل دلف المساء ؟
ــ أتذهبين ؟
ولِمَ نُطيلُ عَذَابَهُ حتى الصباح
لن يُرجعَ الصبح الحياة اليه ،
ما جدوى الصباح ؟

●

ومَض الشعاعُ بعينه الهدباء ومضته الأخيره
ثم احترق
ورأيت شيئاً من تراب الوجنتين
رباه : فوق الصدر ، فوق الساعدين
والعازف المغلوب نام ، ومات في الصمت الكبير
نغمٌ أخير

●

وسألت .. مات . ؟ أجل سأبكيه ،
سنبكيه معاً
ووجمت ، لا الجفن اختلج
ونهضتِ ، ثم فتحت هذا الباب في صمت ملول
ونظرت خلف الباب تلتمسين سلـّمَة النزول
ووقفت ، ثم رجعت في عينيك شيء من وهج
كي تلمسيه
أو تغمضي عينيه أو تتأمليه

لا تلمسيه !
هذا الصبي ابن السنين الداميات العاريات من الفرح
هو فرحتي ،
لا تلمسيه !
أسكنته صدري فنام
وسدته قلبي الكسير
وسقيتُ مدفنَه دمي
وجعلتُ حائطه الضلوع

وأنرت من هُدْبي الشموعْ
ليزوره عمري الظمي ...

الحلم ... والاغنية

مرثية لعبد الناصر

لا ، لم يمت ...
وتظل أشتاتُ الحديث ممزقاتٍ في الضمائرِ
غافياتٍ في السكينه
حتى تصير لها من الأحزان أجنحةٌ ،
تطير بها كلاما مرهقا ، يمضي ليلقفهُ الهواء
يرده لترن في جدرانه دور مدينة الموت الحزينه
أصوات أهليهـا الذين بنت بهم سُررُ البكاء
يتجمعون على موائد السَهَر الفقيرِ ، معذبينَ
ومطرقين

الدمع سقيام ، وخبزمُ التأوه والأنين
يلقون – بين الدمعتين – زفير أسئلةٍ ،
تُخشخِش مثل أوراق الخريف الذابلات
هل مات من وهب الحياة حياتهُ
حقاً أمات ؟
ماذا سنفعل بعده ؟
ماذا سنفعل دونه ؟
حقاً أمات ؟

تتجمع الكلمات حول اسم سرى كالنبض في شريانهم ،
عشرين عاما
كان الملاذ لهم من الليل البهيم
وكان تعويذ السقيم
وكان حُلم مضاجع المرضى ، وأغنية المسافر في
الظلام
وكان مفتاح المدينة للفقير ، يذوده حرس المدينه

عن جِماما

وكان موسم نيلها ،
يأتي فينثر ألف خيط من خيوط الخصب تورقُ في رباها
وكان من يحلو بذكر فعاله في كل ليله
للمرهقين النائمين بنصف ثوبٍ ، نصفِ بطن
سَمَرُ المودة والتغني والتمني والكلامْ

والآن أصبح كل لفظ خنجرا ، ولكل أمنية عذاب
هل مات ، واحزناه
آه لو يعود لبرهة ، ويجيل نظرته ،
ويكشف عن غد بعض الضباب
أواه ، لكن كيف آب إلى التراب ؟
ولم يحنْ وقت الإياب
القول يرهقنا ،
لنصمت ،
علَّ في الصمت التأسّ والسلام

فالصمت أجمل ما يكون إذا غدت ُسبُلُ الكلام
تفضي إلى نار المواجد أو إلى ماء السراب
وتقودنا الذكرى الصموت إلى عميق نفوسنا الملأى ،
وتختلج الظلال

ونهيم في كنا وكان
ويعود ذيَّاك الزمان
ونروح في استرخاءة الموجوع ننشر عمرنا في ظله
يوماً فيوما

الصفحة الأولى ، ..
وكان مجيئه وعداً من الآجالِ ،
لا ُيوفى لمصر ألف عام
والليل ممدود السرادق فوقنا ُظلَماً وظلْماً
والثورة الكبرى توهم واهم ورؤى خيال
حتى طلعت ، طلعتما ، الثورة الكبرى ، وأنت
كأن مصر الأم كانت قد غفت ،
كي تستعيد شبابها ورؤى صباها

وكأنها كانت قد احترقت ..
لتَطهُرَ ثم توَلدَ من جديد في اللهيب
وخرجت أنت شرارة التاريخ من أحشائها
لتعود تُشعِلُ كل شيء من لظاها

ونعيش في أيامنا الملأى بصوتك منشداً لغة رخيمه
كي يوقظ الموتى من الأجدادِ ،
يبعث من ركام العـالم المدفون أطياف انتصارات
قديمـه
لتعود لـلوادي ، وتبعثَ في ثرى مصر الجديده
والعظيمه

ونعيش مع أيامنا الملأى بيومك واسعاً كالأمنيات ،
وضيقاً بالصخر والشوك المدمّى والرماد
أيامنا الملأى بأصداء انتصارك ...
سهمنا المسنون جاز مداه منتصراً وعاد

أيامنا الملأى بأوجاع انكسارك

أُحُدٌ وبدر شارتان على رداءِ محمدٍ ، عاش الجهاد

لا، لم نكن نحيا كما يحيَوْن أياماً نقضّيها إلى يوم المعاد

بل كان ما نحياه تاريخاً كأروع ما تكون ملاحم التاريخ

ساح ترن بها أغاني المجد مُرْعِدةً ، وحمحمة الجياد

ونعيش في أيامنا الملأى بوقع خطاك في الوادي الأمين

إذ كنت فرحتنا الكبيرة، حين تمسك في يديك الحلم،

تنثر منه فوق أسرَّةِ الأطفال والمستضعفين

أو في نواحي بيت مصر على رؤوس شبابها المتجمعين

إذ كنت تجعلهم يمدون الرقاب وتشرئب عيونهم

نحو السماء

ويُمَدُّ حبل الأمنيات لكي يصيد الشمس من عليائها

حتى لنطمحُ أن نُقسّمَ نورها قطعاً على أحبابنا

ونعيدَ ما طمر الزمان ، وأخلفت عِدةُ السنين

ونعيش في أيامنا الملأى بصورتك التي عاشت على أهدابنا
عشرين عاما
نلقاك شاباً في رداء الحرب تنفخ في النفير
كي توقظ الأشلاء ، تجمع شمل مصر المسترَقّه
كانت على مجرى الزمان تمزقت قطعا
فطفَت على مَسارِ النيل تجمع مزقة في إثر مزقه
حتى نهضت ، نهضتما ، ألقيتما التابوت في لهب السعير
وعدتما في خير رفقه

نلقاك كهلاً أشيب الفودين في عمر النبوه
تُعلي مواثيق الأخوه
وتضم في عينيك تَوْقَ النيل للأنهارِ ،
يلغط أهلها بلُغى العروبه
وتؤلف المدن القريبه
كانت قد اختلفت وغيرها الزمان ،
وأصبحت مدناً غريبه

نلقاك في الخمسين أكثر حكمة وأشد حزنا
الأقرباء تباعدوا وتباغضوا ،
والنصر أخلف وعده ، والله يلهمنا الطريق ،
يشد أزر المؤمنين
الله ! يا هول السنين
المحنة الكبرى ، ووجهك غائب ، والليل يوغل والشجون

هل مت؟ لا، بل عدت حين تجمع الشعب الكسير وراء نعشك
إذ صاح بالإلهام :
مصر تعيش ... مصر تعيش ...
أنت إذن تعيشُ ، فأنت بعض من ثراها
بل قبضة منه تعود إليه ، تعطيه ويعطيها ارتعاشتها
وخفقَ الروح يسري في بقايا تربها ، وذِمــا ـِ دمَاها
مصر الولود نمتك، ثم رعتك، ثم استخلفتك على ذُراها

ثم اصطفتك لحضنها ،

لتصيرَ أغنيةً ترفرف في سماها